المصادر البلاغية وملامح الاتجاه الكلامي للكاتب التركي إسماعيل حقي في كتابه " أسرار البلاغة/ المقدمة" " دراسة تحليلية نقدية"

د.سامية محمد جلال (*)

الملخص

هذا البحث يتجه تحديدًا نحو إظهار مصادر كتاب " أسرار البلاغة/ المقدمة" للكاتب التركي إسماعيل حقي، من أمهات كتب البلاغة العربية، وإظهار أن أفكاره المتعلقة بمفاهيم البلاغة وتدوينها وأركانها، والتي كشفت عنها مقدمته إنما هي وليدة لأفكار عربية بحتة. فجاءت استشهاداته من مصادر التراث البلاغي، مكونًا محوريًا في أيدي المؤلف التركي يقوم بتحريكها وفقًا لأغراضه ومقاصده، فعمل على توظيفها لتخدم أهدافه المتعددة، وكان غالبًا ما يلجأ إليها لإثبات أفكاره وتقوية حجته في قضاياه البلاغية المطروحة، ومن ناحية أخرى، عملت تلك النصوص على تشكيل اتجاهاته في درسه البلاغي، ويعد الكشف عن ملامح هذا التشكيل أحد أهداف البحث الذي يسعى كذلك نحو الكشف عن كيفية تلقيه تلك المصادر، ومدى مقدرته على أن يدرس ويمحص ما قدمه العلماء العرب، والمواضع التي استفاد خلالها من المصادر العربية، ومدى استفادته منها، وقد توزع البحث على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول التعريف بالكتاب موضع الدراسة ومنهجه، ويتعرض المبحث الثاني لمصادر المؤلف وملامح اتجاه

* – الأستاذ المساعد للغة التركية وآدابها – قسم اللغات الشرقية –كلية الآداب – جامعة القاهرة.

المدرسة الكلامية، أما المبحث الثالث، فيتطرق إلى مصادر المؤلف وملامح الاستدلال والقياس والتضمين.

Rhetorical sources and features of speech direction By the Turkish writer Ismail Hakki in his book" Mukaddime"/ Asrar -i Balagat "Critical Analytical Study"

Summary

This research specifically aims to show the sources of the book “Secrets of Rhetoric/Introduction” by the Turkish writer Ismail Hakki, one of the most important books on Arabic rhetoric, and to show that his ideas related to the concepts of rhetoric, its codification, and its pillars, which were revealed in his introduction, are the result of purely Arab ideas. His citations came from the sources of the rhetorical heritage, a pivotal component in the hands of the Turkish author who moved them according to his purposes and objectives. He worked to employ them to serve his multiple goals, and he often resorted to them to prove his ideas and strengthen his argument in the rhetorical issues at hand. On the other hand, these texts worked to shape his trends in His rhetorical lesson

Revealing the features of this formation is one of the goals of the research, which also seeks to refute what has spread among some Turkish researchers about the mixing of the principles of rhetoric of the Turkish writer - the subject of the study - with Western rhetorical discourse, and the evidence is the documentation he provided with his pen in his book for a group of sources. Arabic rhetoric, he learned from its owners and benefited from their opinions, and it formed a rich material in the book. Then the research goes to reveal how he received these sources, the extent of his ability to study and examine what Arab scholars presented, the places in which he benefited from Arab sources, and the extent to which he benefited from them. The research was divided into three sections. The first section dealt with introducing the book under study and its methodology. The second section dealt with the author’s sources and the features of the direction of the theological school. The third section dealt with the author’s sources and the features of inference, analogy, and implication.

المقدمة

أحدثت الثقافة الإسلامية وحضارتها نقلة كبيرة في البيئة الثقافية التركية امتدت خلال حقب تاريخية طويلة منذ قبولهم الإسلام (القرن العاشر الميلادي) وحتى منتصف القرن التاسع عشر، وقد تجلى هذا الأمر في سياق علوم العربية (وخاصةً علوم البلاغة)، التي سرت في مجرى عروق الجسد الثقافي التركي، تمده بشرايين الحياة وتتعهد بتربيته وتنشئته، حتى صار له كيانه البلاغي ومؤلفاته المستقلة. لقد نشأت البلاغة التركية في أحضان الثقافة الإسلامية، لقد أقبل الأتراك على تعلم علوم البلاغة العربية في وقت لم يكن لهم تراث بلاغي، فاتجهوا نحو المصادر العربية في فترة ما قبل التنظيمات، وعكفوا أولاً على ترجمتها[١] ، فكانت الترجمة بمثابة الوسيلة المهمة في نقل العلوم البلاغية ونشرها، والجسر الذي أسهم في تقديم ذخيرة معرفية كبيرة تتعلق بهذه العلوم، كما إنها شكلت الذوق المعرفي للأتراك في بداية حياتهم المعرفية والتكوين الثقافي البلاغي. ثم خطى الأتراك خطوة أخرى خلال فترة التنظيمات وما بعدها، تجاوزت فيها مرحلة الترجمة، وخاضوا مجال التأليف البلاغي، وفي سياق هذا التأليف البلاغي التركي خلال القرن التاسع عشر، كانت مصادر العلوم العربية لا تزال تتصدر المشهد البلاغي التركي، ويمثل كتاب "اسرارِ بلاغت" لإسماعيل حقي أبرز النماذج التي اعتمدت في تأليفها البلاغي على جسر من تلك المصادر العربية.

أهمية الدراسة:

تمثل دراسة هذا الكتاب من بين مؤلفات البلاغة التركية الحديث أهميةً كبيرةً، حيث شكل لبنة مهمة من لبنات البناء البلاغي التركي من ناحية، ومن ناحية أخرى، تمثل مقدمته محاولة للتقديم النظري أو المدخل المنهجي لكتابه المجلد الأول من " اسرار البلاغة"، اعتمد فيها على مجموعة من المصادر التي تمثل دراستها أحد أهم المحاور الأساسية في الدراسات البلاغية، فمن المؤكد أن لها دورًا كبيرًا في الكشف عن مكانة هذا الكاتب ومؤلفاته وتحديد خط سيره الفكري والكشف عن كيفية استخدامه لمصادره التي اعتمد عليها وتأثيرها على اتجاهاته في درسه البلاغي. والجدير بالملاحظة في هذا الجانب، أن المؤلف لم يعتمد على مؤلفات البلاغة المكتوبة

باللغة التركية في عصره، غير أنه أشار لإحداها دون ذكر لاسم مؤلفه، مما يوحي بأنه أراد أن يحصر بحثه حول جوهر المعرفة البلاغية من مصادرها الأولى ومنابعها الأصلية. حيث تتجلى أهميته في غنى المصادر التي اعتمدها وفي توجهاته عند نقوله منها، لقد امتلك الكاتب التركي رصيدًا ثقافيًا ومعرفيًا من اللغات العربية والفارسية والتركية، واطلع على معظم مؤلفات التراث البلاغي، وظهر ذلك في ثقافته الأدبية الواسعة التي امتزجت بصورة تنوعت فيها المصادر التي اعتمد عليها في مقدمته وساهمت في إرساء معالم البنية الفكرية للمؤلف، ورسمت توجهه الفكري ومنهجه البلاغي في تشكيل اتجاهاته في درسه البلاغي، فغلبت عليه النزعة الكلامية مما كان له أثره الكبير في ظهور العديد من ملامح هذا الاتجاه في شرح مادته العلمية.

أسباب الدراسة

انطلقت فكرة دراسة هذا الكتاب لهذه الأسباب العلمية الآتية: .

١ . القيمة التي يحملها الكتاب المذكور، وانفراد مؤلفه بامتلاكه مجموعة متنوعة من كتب التراث البلاغي استفاد منها في كتابه المذكور، ويعد الكشف عنها من أهم دوافع الدراسة. وهو دافع يخدم الثقافة العربية بشكل عام.

٢ . عدم وجود دراسة مستقلة تتناول مصادر التراث البلاغي التي اعتمد عليها المؤلف التركي في تأليفه البلاغي، ودورها في تشكيل اتجاهاته في درسه البلاغي.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكشف هذه الدراسة عن العديد من الإشكاليات المتمثلة فيما يلي: .

أولاً: التفت المؤلف التركي إلى العديد من مصادر التراث البلاغي، ليأخذ عنها موارده ومواده، ويستقي عنها معلوماته المتنوعة، وقد أظهر في تعامله معها قمة الإجلال والتعظيم لمكانتها السامقة لديه، في حين أنه لم يتجه على الإطلاق نحو أي مؤلف من مؤلفات البلاغة المكتوبة باللغة التركية، والتي انتشر ظهورها في عصره، وهو ما يثير إشكالية حول دوافعه ودلالاته وكيفية استخدامه لها ومناقشتها.

ثانياً: عكس التأليف البلاغي خلال فترة المؤلف التركي، صورة حية لمرحلة انتقالية مهمة، تجاوزت فيها مرحلة ترجمة مصادر البلاغة العربية، إلى توظيفها وتطبيق معارفها بما يتفق وأشكال الأدب التركي عبر مجموعة كبيرة من المؤلفات البلاغية، ومن هنا تبرز إشكالية كيفية قيامه بهذا الدور وتفاعله مع مصادر التراث البلاغي.

ثالثاً: كانت السمة التعليمية هي الغالبة على المؤلفات البلاغية في تلك الفترة، فقد أعدها مجموعة من المعلمين لكي يتم تدريسها في المدارس (وخاصةً المدارس الإعدادية)، من أمثال ميخاليجي مصطفى أفندي مؤلف (زبدة البيان) [٢]، وعبد الرحمن ثريا، صاحب كتاب (سفينهء بلاغت) [٣] ، وعلى نظيما مؤلف كتاب (مُخطرهء بلاغت) [٤] ، وابن الكامل مُحَمَّد عبد الرحمن، وكتابه: بلاغت عثمانيه [٥] ، غير أن إسماعيل حقي لم يكن مدرسًا، ولم يعد كتابه للتدريس، ومن ناحية أخرى، انفرد كتابه من بين معاصريه بامتلاكه هذه الذخيرة المتنوعة من مصادر البلاغة العربية، والتي صرَّح بها وحاول توظيفها لخدمة أفكاره، فهل كان هذا الانفراد انعكاسًا على مؤلفه البلاغي؟

لقد انبثقت عن كل هذه الإشكاليات العديد من التساؤلات التالية:

١ . ما آليات اختيارالمؤلف لمصادره من البلاغة العربية، وكيف وظف نُقُوله منها وفقًا لرؤاه البلاغية؟

٢ . ما منهجية المؤلف في تناوله للمصادر التي اعتمد عليها في مقدمته، وكيف تجلى تأثيرها عنده في درسه البلاغي؟

٣ . ما محاور تأثره بآراء العلماء أصحاب مصادر التراث البلاغي؟ وكيف أثرت في توجهه ونزعته العقلية؟ وما ملامح هذا التوجه ومظاهره في كتابه؟

٤ . ما المواضع التي استفاد خلالها من المصادر العربية؟ وما مدى استفادته من تلك المصادر؟

٥ . كيف تلقى المؤلف تلك المصادر العربية؟ وهل كانت نقوله منها تتوافق مع نصوصها الأصلية عند ترجمته لها؟

٦ . هل استوعب ما جاء بها ونقلها نقلاً صحيحًا خلال ترجمته؟ أم أساء فهم بعض ما ورد بها؟ وهل اكتفى بالنقل عنها، أم أنه أضاف إليها؟

٧ . هل استطاع تجميع كل الأفكار الواردة في مصادره وتمكن من صهرها في بوتقة واحدة بصورة تناول خلالها قضاياه البلاغية في ترابط لا تعارض فيه وسار فيها وفق تصور واضح؟ وهل تمكن من توظيفها في مؤلفه، بشكل يخدم بها ما يطرحه من قضايا متنوعة ووفق المفهوم الذي يستعرضه؟

أهداف الدراسة ومنهجها:

تهدف الدراسة إلى: .

. الكشف عن مرجعيات كتاب " أسرار البلاغة" (المقدمة) لإسماعيل حقي، من أمهات الكتب العربية ومكانتها عنده، وإبراز أن أفكاره المتعلقة بمفاهيم علم البلاغة وتدوينها وأركانها، والتي كشفت عنها مقدمته إنما هي وليدة لأفكار عربية بحتة.

. إبراز دور تلك المصادر في تشكيل اتجاهاته في درسه البلاغي

. معرفة طريقته في التعامل مع تلك المصادر، والكشف عن مواطن الاتباع والابتداع، والكشف عن تفرده بالجديد والخصوصية والرؤية إن وُجدت.

. تحاول الدراسة ايضًا عرض ما تناوله المؤلف من قضايا تخص البلاغة ومرجعياتها من كتب التراث البلاغي، عرضًا ونقدًا وتوضيحًا.

وللوصول إلى الأهداف المذكورة، اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على اتباع الإجراءات المنهجية التالية:

١. جرى تتبع الأفكار التي طرحها المؤلف التركي في كتابه حول قضايا حددتها الدراسة والمتعلقة بالمصطلحات البلاغية وأركان علم البلاغة وتدوينه، مع تقصي نظراءها في مصادرها الأصلية، سواء تلك التي ذكرها المؤلف أو لم يذكرها.

٢ . تعقب كل فكرة مطروحة في القضية المذكورة، وما ترمي إليه من أهداف ورؤى، وكيفية تلقيه للمصادر المتعلقة بكل فكرة على حده، والسبب الذي جعل المؤلف ينقلها ويترجمها، ومدى صحة الترجمة التي صاغها ومقارنتها مع أصولها ومصادرها.

٣ . مناقشة تلك الأفكار على أساس أنها قضايا، فقام البحث بتنظيمها وتجميعها من كتابه، مع تحليلها متتبعًا آراء المؤلف التركي وغرضه من إيراد نقوله من تلك المصادر، مع إبراز دور هذه النقول من مصادرها في تشكيل توجهات المؤلف في شرح مادته العلمية.

٤ . تتبع ترجمة الاستشهادات التي قام بها، والتنبيه على سوء الفهم أو استبدال عبارة بأخرى أو كلمة بأخرى، أو التصرف فيها بالنقص أو بالزيادة.

وقد اتبع البحث كذلك المنهج المقارن في مقابلة ومقارنة النصوص الاستشهادية التي أخذها من مصادر التراث وقام بترجمتها، مع مواضعها في نصها الأصلي، متتبعًا النقول التي ترد حول كل قضية مجتمعة، مع وضع عناوين جانبية لكل منها تبرز أثرها في توجهه الكلامي، بالإضافة إلى الإشارة إلى موطن الشاهد تجنبًا لتكرارها. وتبدو صعوبة البحث في مثل هذا النوع من الدراسات، لقيامه بكل هذه الاجراءات السابق ذكره، ومن ثم، فقد قصرت الدراسة حدود تتبع مصادر المؤلف التركي التي اعتمد عليها في كتابه من التراث البلاغي العربي، على قضايا مفاهيم مصطلح علوم البلاغة وتصنيفها وتدوينها وأركانها، سواء كان الكاتب التركي قد صرح بذكر أسماء تلك المصادر، أو لم يصرح، مع تعيين النقول التي أوردها في تلك القضايا، ومقارنتها بأصولها في نصوصها الأصلية في مصادرها، والتعريف بكل مصدر من هذه المصادر وأهميته في تشكيل توجهه الفكري.

الدراسات السابقة:

لم تحظ دراسة مصادر التراث البلاغي التي اعتمدها المؤلف التركي في كتابه موضع الدراسة، بأية دراسة على الساحة العربية والتركية، غير أن هناك ثلاث دراسات عامة استطاع البحث العثور عليها في ساحة الدراسات التركية، أما أولاها، فهي رسالة ماجستير عنوانها "أسرار البلاغة لإسماعيل حقي/ المقدمة"

Elif Ateş:Bereketzâde İsmail Hakki'nin Esrâr-I Belâgat'I (Mukaddime Cildi), Yüksek Lisans Tezi, Malatya, 2017.

ونظرًا لأنها تتناول الكتاب (المقدمة) موضع هذه الدراسة، فسوف نفصل القول عن محتواها وأهدافها ومنهجها، لقد قامت فيها الباحثة أَلِف آتش (Elif Ateş) بتقسيم دراستها إلى مقدمة وقسمين وخاتمة، تناولت في المقدمة (من ص ١–٣١) مصطلح البلاغة وتعقبت مراحل تطوره التاريخي، مع الإشارة إلى مسار البلاغة عند قدامى الأتراك وخلال فترة العهد العثماني والتنظيمات والجمهوريين، وحياة إسماعيل حقي وأعماله. وفي القسم الأول من الرسالة (من ص ٣٤–٥٧)، تناولت الرسالة الكتاب موضع الدراسة من حيث الأسلوب والمحتوى، ومكانته بين المؤلفات البلاغية، ثم خصت الرسالة في قسمها الثاني (من ص ٥٩– ١١٧) لتحويل الكتاب من الرسم التركي العثماني إلى الرسم التركي الحديث.

ومن الواضح الجلي، اختلاف أهداف هذه الرسالة عن أهداف دراستنا، فضلاً عن اختلاف الموضوع والمنهج فيما بينهما.

وهناك دراسة أخرى تناولت الجزء الأول من الكتاب ذاته، وحملت العنوان التالي:

Mehmet Gürbüz, Bereketzâde Ismail Hakki'ninImlâKonusundakiGörüşleri,Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic,Volume 3/6 Fall 2008.

وموضوعها يدور حول آراء إسماعيل حقي بركتزاده حول موضوع الإملاء.

اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى ثلاثة مباحث: تناول المبحث الأول" إسماعيل حقي وكتابه " اسرار بلاغت/المقدمة": الغاية والمنهج، وقد جاء في خمس نقاط: تناول في الأولى التعريف بالمؤلف والكتاب محل الدراسة، والثانية: أثر البيئة وتكوينه الثقافي والفكري في البنية الفكرية لإسماعيل حقي، والثالثة: التعريف بالمصادر التي ورد ذكرها في الكتاب موضع الدراسة ومقاييس اختياره لها، والرابعة: غاية المؤلف من تنظيم مادته البلاغية وأثرها في اختيار مصادره، أما النقطة الخامسة والأخيرة، فتعرضت لمنهج المؤلف في النقل عن مصادره. يتطرق المحور الثاني

إلى دراسة مصادر المؤلف وملامح الاتجاه الكلامي في قضايا تعريف المصطلح البلاغي، ويتناول المحور الثالث مصادر المؤلف وملامح (الاستدلال ـ القياس ـ التضمين)

المبحث الأول : إسماعيل حقي وكتابه " اسرار بلاغت/المقدمة": الغاية والمنهج

أولاً: التعريف بالمؤلف والكتاب:

ولد بركتزاده إسماعيل حقي عام ١٨٥١م، في حي عتيق علي باشا في زنجيرلي قويي، لعائلة صوفية. توفي والده الحاج حسن بصري آغا وعمره عام واحد، وهو أحد أفراد عائلة أولاد بركة من منطقة آغن (منطقة كمالي اليوم في أرزينجان) في مقاطعة معمورة العزيز (إيلازيغ). خدم حسن بصري آغا بوصفه حارسًا للباب وشغل منصب خليفة كوشادالي إبراهيم أفندي، أحد شيوخ الشعبانية. وكان والده إسماعيل حقي بن مُحَمَّد، أحد المحاضرين في مسجد آيا صوفيا. بدأ إسماعيل حقي تعليمه في مدرسة جانفيدا خاتون وواصل تعليمه في مدرسة حافظ باشا بالقرب من الفاتح. بعد الدراسة في مدرسة ملكيه لمدة عام ونصف، انتقل إلى دار الفنون الذي تم افتتاحه حديثا. ومع ذلك، لم يكمل تعليمه بها بعد إغلاقها عام ١٨٧١م، كان قد تلقي العلم في المدارس التي طبق فيها التقنيات الغربية وفي المدارس التي التزمت بالأساليب التقليدية، وفي الوقت نفسه، كان يحضر حلقات المحاضرات الصباحية والمسائية في مسجد الفاتح. كما سعى إلى الاستفادة من المعلمين مثل عبدي بك (عبد الله الرومي)، الذين ألقوا محاضرات في كل فرصة وفي كل مكان دون اتباع قواعد المدارس أو المدارس الدينية. وكانت لهذه المعرفة التي اكتسبها انعكاساتها في الأعمال التي كتبها في السنوات التالية. أكمل إسماعيل زاده حفظ القرآن، ودرس كتاب "تعليم"، وتلقى إجازات من القراءات السبع، درس اللغة العربية من أحمد أفندي، المعروف بلقب البصريون أفندي، ودرس التفسير والحديث والأدب العربي من عبدي بك ، مؤلف كتاب " إيضاح المرام في اكتشاف العالم"، واستفاد كثيرا من الألباني تحسين أفندي في مجالات الفلسفة وحكمة الخلق. قرأ من كتاب الشيخ التميمي سعد الدين تفتازاني "المطول" في علم البلاغة.[٦]

ويبدو من خلال تأليف الكاتب لكتابيه " أسرار البلاغة / المقدمة " و" أسرار البلاغة / الجزء الأول" بالعنوان ذاته، أنه أراد استكماله في أجزاء أخرى، لكنه لم يتمكن من ذلك، وتوقف عند هذا الحد. فقد وضع المؤلف كتابين يحملان عنوانًا واحدًا، وهو " اسرار بلاغت"، وصنف الكتاب الأول بوصفه" مقدمة" والآخر جعله الجزء الأول.

يقع الكتاب في مائة صفحة، وشرع المؤلف في بداية كتابه بوضع مقدمة تجاوزت خمس عشرة صفحة، أعقبها استطراد امتد لأكثر من أربع صفحات، وتبرز من خلال أولى سطور كتابه، مدى أهمية البيان عند المؤلف، فقد وضع عنوانًا في مقدمة كتابه يحمل الجملة العربية الآتية " باسمك الجليل يا من خلق الإنسان علمه البيان"، ثم استهل السطور الأولى من المقدمة بتعريف مصطلح "علم البلاغة"، وتطرق بعد ذلك إلى موضوعات تتعلق بتصنيف العلوم وترتيبها، وعلاقة علم البلاغة بعلوم الأدب والعلاقة بين فنون البلاغة المختلفة من معاني وبيان وبديع، وقوانين البلاغة وفوائد معرفتها. انتقل المؤلف بعد الاستطراد، إلى مناقشة قضايا تخص علم البلاغة وتدوينها وأركانها في عدد من المقالات تحمل عناوين: (القوة العقلية والوقوف على أصول وقواعد البلاغة، ومطالعة كلام البلغاء، والإدمان والممارسة) وفي ثنايا عرضه لهذه القضايا، كان يتعرض لمسائل أخرى تتعلق بالحواس والانفعالات النفسية والذوق، مستكملاً ما قد فاته ولم يناقشه من قبل، وقد وضعها تحت عنوان " تكمله". وبعد تناوله لأصول وقوانين البلاغة، اتجه للحديث عن فوائد الاطلاع على كلام البلغاء، ومواصلة قراءتها، وقد ختم " المقدمة" ببيان غايته من تأليف كتابه، واكتفى بنقل فقرات طوال من كتاب المثل السائر لابن الأثير " توضيحًا لما أراد التأكيد عليه في مقدمته [٧].

ثانياً: أثر البيئة وتكوينها الثقافي والفكري في البنية الفكرية للمؤلف:

لعبت البيئة التي نشأ فيها إسماعيل حقي، دورًا في تعرفه على المصادر العربية البلاغية والنقدية المتنوعة التي تزخر بها مكتبات تركيا، ولاسيما المصادر البلاغية والنحوية والنقدية، والتي أتيح له الاطلاع عليها ودراستها، لذلك انعكست عليه في تنوع مشاربه العلمية في كتاباته، كما أسهمت في تكوين شخصيته العلمية. لقد نشأ إسماعيل حقي في بيئة أثرت في

توجيه سلوكه وتكوينه الثقافي والفكري، فقد " أكمل حفظ القرآن الكريم، وتمت إجازته في القراءات السبعة والعشرة، ومن خلال إعداده على أيدي أساتذته في العلوم المختلفة، فقد درس اللغة العربية من أحمد أفندي" الملقب بـ " البصريون أفندي"، ودرس التفسير والحديث والأدب العربي وعلم البلاغة من " عبدي بك" مؤلف كتاب " إيضاح المرام في كشف الظلام"، ومن الشيخ العلامة المشهور " أحمد تميمي" الذي قام بتدريس كتاب المطول للتفتازاني لإسماعيل حقي، ومن المحدث البنغازي " أحمد شتوان"، وقد أفاد كثيرًا من الأرناؤطي " تحسين أفندي في الفلسفة وحكمة الخلق، أما كتب التراث العربي، فقد درس مؤلفاتها وخاصةً علم البلاغة للتفتازاني"[٨]، لقد أثرت ثقافة المؤلف التي استوعبت الثقافة العربية الإسلامية في تكوينه العلمي، فكان متعدد الجوانب، وأخذ بحظ وافر من علوم العربية ومعارفها، وهو ما ترك بصمات واضحة في تبنيه الفكر البلاغي العربي.

ومن الملاحظ أيضًا، أن وظيفة المؤلف التركي في القضاء قد تركت بصماتها الواضحة في تأليفه، فهو رجل قانون، وكان قد "تولى مناصب عديدة في دوائر المحاكم في سيواس وديار بكر وحلب وأنقرة (من عام ١٨٧٨ وحتى نهاية حياته)، واشتغل في دائرة حقوق محكمة الاستئناف بإستانبول التي توفي فيها عام (١٩١٨) بينما كان يشغل منصب المدعي العام" [٩]، أي بالقضاء المرتبط أساسًا بالعلوم الدينية، مما كان له أثره الكبير الذي حفز عقله وأيقظ ملكاته ليكون دقيق الملاحظة في تأليفه البلاغي كما سيتضح من البحث.

ثالثاً: مصادر المؤلف المذكورة في كتابه

لقد اغترف المؤلف التركي من التراث البلاغي العربي، حيث تضج مقدمته بذكر الكثير من أسماء مؤلفات ذلك التراث الأصيل، ويلهج لسانه دائمًا بالثناء عليهم والإشادة بدورهم في إثراء التأليف البلاغي وعلو مكانتهم في النقد والبلاغة، أمثال ابن حجة الحموي، والجاحظ وعائشة الباعونية يقول المؤلف ما ترجمته:

" أظهر ابن حجة الحموي في " خزانة الأدب، والجاحظ في كتاب البيان والتبيين، والأديبة المعروفة " عائشة الباعونية في " الفتح المبين"، وكثير من الأفاضل، أظهروا كيف أبدعوا في

مؤلفاتهم المكتوبة في هذا المنهاج، الصناعات البديعية والمستخرجات الأدبية وقاموا بتدوينها، ومدى ما قدمه الأدباء من خلال مطالعة نفائس مؤلفاتهم، من إثراء نطاق الفصاحة والبلاغة، وما تبع انتقاداتهم ودقائق فكرهم، من نضج حصادهم وجني المزيد من ثمراته" (١٠)

غير أنه كان في مسار بحثه لقضاياه، لم يكن يتبع ما كان سائدًا في التأليف التركي البلاغي، فقد انفرد من بين مؤلفات عصره بذكر أسماء مؤلفات التراث البلاغي التي استقى منها الأفكار، وأخذ عنها الآراء، ولهذا، سوف تحصر الدراسة مجموع المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وفقًا للقضايا التي حددتها الدراسة، والتي تتعلق بتوضيح مفاهيم البلاغة وتصنيف علومها وتدوينها وبيان أركانها، فقد تناول في هذه القضايا ستة من جلة العلماء وكبار أئمة العربية والبيان، وهم:

١) **ابن خلدون وكتابه (مقدمة ابن خلدون)**

ولد ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد رمضان بتونس في سنة ٧٣٢هـ (١٣٣٢م)، توفي بمصر سنة٨٠٨هـ ، وهو واحد من أبرز المفكرين العرب في المغرب العربي في مجالات الفكر والسياسة والأدب والعلوم الاجتماعية والتاريخية، من آثاره كتاب العبر في التاريخ والمقدمة.(١١)يذكر ابن خلدون في كتابه "مقدمة ابن خلدون "أنه أقام كتابه على مقدمة وثلاثة كتب، تختص المقدمة بذكر فضائل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ورصد مغالط المؤرخين والإلماع بها، ويختص الكتاب الأول بالعمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب، والكتاب الثاني في ذكر أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة، والكتاب الثالث في أخبار البربر ومواليهم، والحديث عن الأدب يدخل ضمن محتويات الكتاب الثاني الخاص بالعمران وثوابته ومتغيراته.(١٢)

ومن الملاحظ أن مقدمة "ابن خلدون" لم تكن من الكتب المتخصصة في الأدب، " فالأدب لا يحضر في المقدمة إلا باعتباره عارضًا من عوارض العمران أو الاجتماع الإنساني، أو باعتباره أداة أو علمًا يدخل تحت طائلة أصناف العلوم والصناعات التي عمد ابن خلدون إلى التأريخ

لها، وعرض بعض أصولها ومناهجها وثمارها في سياق محاولته البحث عن خصائص المعرفة العربية الإسلامية" (١٣).

٢) **جمال الدين المعروف بالوطواط وكتابه (غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة):**

هو مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحى بن علي الأنصاري الكتبي، جمال الدين المعروف بالوطواط، من أهل مصر، ولد في ذي الحجة سنة ٦٣٢ هـ. ١٢٣٥م، المتوفى ٧١٨هـ، عالم وأديب مصري، كانت صناعته الوراقة وبيع الكتب، وجمع مجاميع أدبية، وهو صاحب الرسائل المشهورة المعروفة بعين الفتوة ومرآة المروءة . وكتابه " غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة" يقع في ستة عشر بابًا، يشتمل كل باب منها على ستة فصول، ضمنها مختارات من النثر والشعر، وهو كتاب شامل يحوي من فنون الأدب والحكمة والقول ويهدف إلى تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وكان المؤلف يجمع ويرتب الكثير من الأقوال والأشعار والقصص ضمن أبواب شاملة لجوامع الكلم، بحيث يبتدئ الباب إما بذكر آيات من القرآن الكريم تتناسب وموضوع الباب، ثم يتبعها بأحاديث للرسول ﷺ في الموضوع نفسه، ثم يتبعها بعد ذلك بكثير من الحكم والقصص والأشعار والطرائف التي لا تخالف المغزى المقصود من إثباته.(١٤)

٣) **القزويني وكتابه التلخيص**

هو الإمام أبو المعالي جلال الدين قاضي القضاة مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم القزويني الشافعي، المولود في سنة ٦٦٦ في الموصل وأقام في بلاد الكرج وهي بين همذان وأصفهان وتوفي في سنة ٧٣٩ من الهجرة، وقد ذكره خير الدين الزركلي في قاموسه، بأنه كان أديبًا بالعربية والتركية والفارسية. (١٥)

قام القزويني بترتيب كتابه على مقدمة وثلاثة فنون : الفن الأول: علم المعاني، والفن الثاني: علم البيان، والفن الثالث: علم البديع، فبدأ عمله هذا بتلخيص القسم الثالث من (مفتاح العلوم) الذي صنفه أبو يعقوب يوسف السكاكي، لأنه فيما رأى " أعظم ما صُنف في علم البلاغة من الكتب المشهورة نفعًا، لكونه أحسنها ترتيبًا، وأتمها تحريرًا وأكثرها للأصول

جمعًا،[١٦] ويبدو أن جهود العلماء قد توقفت بعد الخطيب القزويني، حيث انحصر جهد من أتى بعده على وضع شروح لكتابه، وكان من شراحه الشيخ التفتازاني، الذي اعتمده المؤلف التركي كذلك من بين مصادره.

٤) التفتازاني وكتابه شرح التلخيص

التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله، المشهور بسعد الدين التفتازاني، ولد عام ٧١٢ هـ في تفتازان ـ من بلاد خراسان ـ وتوفي في سمرقند (٧٩٢ هـ) ودُفن في سرخس. كان إمامًا عالمًا بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق، ترك التفتازاني العديد من الكتب في علوم البلاغة والفقه والنحو والمنطق والحديث منها " شرح الشمسية في المنطق " و" الإرشاد في النحو " و " شرح الأربعين النووية ".

يعتبر التفتازاني من السابقين إلى شرح كتاب القزويني " تلخيص المفتاح "، حيث قام بشرحه شرحًا مطولاً في كتاب أسماه " المطول"، ويتكون من مقدمة تحدث فيها عن سبب تأليفه لكتابه، وعن المشاكل التي واجهته أثناء تأليفه، ورتب كتابه كما رتب القزويني " التلخيص " فتحدث عن معنى الفصاحة والبلاغة والشروط التي ينبغي تجنبها حتى يعد الكلام فصيحًا، وثلاثة فنون هي البيان والمعاني والبديع حيث عرف كل فن وذكر أقسامه ممثلاً بالشواهد والأمثلة المناسبة والدالة ، وخاتمة تحدث فيها عن السرقات الشعرية وما يتصل بها من اقتباس وتضمين وعقد وحل وتلميح، والقول في الابتداء والتخلص والانتهاء.[١٧]

٥) ابن حجة الحموي وكتابه خزانة الأدب

هو تقي الدين مُحَمَّد بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي، وُلد في حماة سنة ٧٦٧هـ، ١٣٦٦م، وبها نشأ، ظهرت ميوله الأدبية منذ صغره، سافر إلى دمشق ثم مصر عام ٨١٥ هـ، وعمل في ديوان الإنشاء حتى سنة٨٣٠هـ، ثم عاد إلى موطنه الأول حماة وظل بها حتى وافته المنية سنة ٨٣٧هـ. ويعد كتابه" خزانة الأدب" خزانة للعلوم والمعارف العلمية والأدبية، فهو أشبه بالموسوعات الأدبية التي تجمع فنون الأدب المختلفة من اللغة والبلاغة

والنقد والتاريخ والتراجم ومنثور الكلام، وبليغ الشواهد من الآيات والأحاديث النبوية والأمثلة والاستطرادات وأحيانًا النكت والمساجلات، ألفه ابن حجة باعتباره مرجعًا أدبيًا ينتمي إلى العصرين المملوكي والأيوبي.[١٨]

٦) **ابن الأثير وكتابه (المثل السائر في أدب الكاتب)** ، لضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي المعروف بابن الأثير الجزري، عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري والثلث الأول من القرن السابع الهجري، وهو صاحب كتاب (المثل السائر) وكتاب (الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور)،وضياء الدين بن الأثير هو أحد الإخوة الثلاثة: أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم المؤرخ المشهور صاحب كتاب (الكامل) في التاريخ والمتوفى عام ٦٣٠ من الهجرة، وأبو السعادات مجد الدين المبارك بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم، وهو من كبار المحدثين ومن تصانيفه كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول)، توفي ابن الأثير ببغداد سنة ٦٣٧هـ. [١٩]

الملاحظ بعد استعراض المصادر التي استند عليها المؤلف في مادته العلمية، أنه لم يلجأ في نقوله إلى المؤلفات الأصول في علم البلاغة رغم ذكره لها في مقدمته، أمثال الجرجاني والسكاكي، واعتمد على المؤلفات التابعة لهذه الأصول، والتي دارت في فلكها وقامت بشرحها وتلخيصها.

رابعاً: غاية المؤلف من تنظيم مادته البلاغية وأثرها في اختيار مصادره

عني المؤلف التركي بشرح غايته من دراسة علم البلاغة من خلال ذكره لفوائد إنعام النظر في المؤلفات القيمة للفصحاء والبلغاء الأجلاء، إذ يقول ما ترجمته:

"تجلب قراءة الآثار القيمة للفصحاء والبلغاء الأجلاء وتدبرها، فوائد عظيمة للغاية، أولاَ: أن الألفاظ والمعاني الجميلة المخترعة التي لا نظير لها، والتراكيب والأساليب والألفاظ التي تثير

أعجاب الإنسان بجمالها وتناغمها وتناسقها، وتمثل ذخيرة يتم اللجوء إليها عند الرغبة في التعبير عن تلك الألفاظ والمعاني وعند الحاجة إليها، ثانيًا: أن قراءة النفائس الأدبية، تكشف عن الأساليب البلاغية بصورة أكثر وضوحًا من دراسة القواعد في أغلب الأحوال، ثالثًا: أنها تعد من أكمل الوسائل التي تطبع الفصاحة والبلاغة وتنقشها في الأذهان، والتي تتجلى فيها أسرار فيض اللسان."(٢٠)

يتجلى في مقولة المؤلف أنه قد حصر في دراسته لعلم البلاغة غايات تعليمية وأخرى بلاغية، واتخذ من التيسير منهجًا وهدفًا في إيضاح مسائل علم البلاغة وتبسيط قواعده بشكل تطبيقي من خلال الشواهد والأمثلة من مؤلفات البلغاء، لتسهيل فهمه وتكون أكثر وضوحًا من دراستها بشكلها الجامد، حتى تكون محفورة في الأذهان كما يشير في مقولته، والمؤلف متأثر في هذا الأمر بالقزويني كبير التأثر، فقد أخذ عنه وسار على نهجه في التيسير لمسائل علم البلاغة، حيث يشير في تلخيصه إلى منهجه هذا كما سبق القول عند الحديث عن كتابه وسبب تأليفه له.

ويتجلى البعد البلاغي واضحًا في ترغيب المؤلف بفوائد تلك المؤلفات التي اتخذها وسيلة تخدم أهدافه وغاياته منها فجعلها نموذجًا يحتذى بها في جمال أساليبها البلاغية وتراكيبها وألفاظها ومعانيها، فضلاً عما تمثله من فوائد لغوية، وهو يبدي في أكثر من موضع، مدى مكانة علم البلاغة وعلو قدرها، فيقول في موضع آخر ما ترجمته:"

" سوف أوضح بعض النقاط، وأبرز الآن جلالة قدر هذا العلم وعظيم فائدته. إن الكُتاب والأدباء المحرومون من هذا العلم، هم من عجزة الكتاب، وفي أدنى مراتب الكمال، ذلك بأنهم عاجزون عن المواجهة، حتى ولو كان الفلاح حليفهم في حسن البيان. وهم لا يستطيعون استحضار أي دليل فيما لو سُئلوا عن سبب استحسانهم بالتراكيب وعلة إعجابهم بها " (٢١)

غير أنه رغم افتتانه بها وبفحولة أصحابها الأجلاء، إلا أنه لا ينسبها للعرب، فهو في كل موضع يأتي فيه بذكر التراث البلاغي وأصحابه من العلماء البلغاء، لم يشر على الإطلاق إلى انتماء هذا التراث إلى العرب، فجعله عامًا وهو ما له دلالاته .كما أنه يعتبر هؤلاء العلماء أسلافه الذين يجب التعرف عليهم، وقد ذكر ذلك بقوله:

" هي تلخص لنا الفن من أجل إفادتنا من ملاحظات أسلافنا."[٢٢]

خامساً: منهج المؤلف في النقل عن مصادره

بنى المؤلف كتابه (المقدمة) بشكل يتلاءم مع غرضه منه، حيث صنف كتابه ليكون تبيانًا يوضح فيه فكره ومنهاجه، وأراد منه أن يكون بمثابة مقدمات وطريق لتأسيس النظر في علم البلاغة التركي، يضع فيها الأسس ويفصل القول عن المفاهيم والمصطلحات الخاصة بهذا العلم وأصوله وأركانه وقوانينه، وهو في صنيعه هذا بدا محتذيًا بالتأليف البلاغي العربي من حيث رسم حدود هذا العلم وإقامة قواعده العامة نظريًا، ليس هذا فحسب، بل كان من مقتضيات منهجه الاستعانة بمصادر التراث البلاغي في مادته العلمية، لتوضيح فكرته، حيث تنوعت استشهاداته من تلك المصادر، فالكتاب يبدو لقارئه وكأنه معقود للنظر في أسرار بلاغة اللسان العربي، فهو لم يعول في تأليفه إلا على النقل من أشهر أئمة البلاغة. التفت المؤلف التركي في قضاياه البلاغية، إلى العديد من مصادر التراث البلاغي، ليأخذ عنها موارده ومواده، ويستقي منها معلوماته، ولعله رغب في أن يتفوق في التأليف البلاغي، متوسلاً بتعدد مصادره المتنوعة المذاهب والمشارب كما أوضح البحث سابقًا، ومن ناحية أخرى، فقد وافقت تلك المصادر قبول المؤلف التركي وتوجهاته، كما أن اختيارات المؤلف لمصادره إيمانًا منه بأهميتها، ومن الممكن الكشف عن ملامح منهجه في التعامل مع مصادره من خلال النقاط التالية:

١ . لا يُخفى المؤلف تقديره لتلك المصادر وإشادته بنفاستها وبأصحابها من العلماء الأجلاء، فهو يكثر من هذا الملمح في مواضع كثيرة من الكتاب، فضلاً عما يصرح به من افتنانه بها، حيث يقول ما ترجمته (نحن مفتونون بالآثار القيمة للبلغاء الدهاة) (٢٣)

٢. من الملاحظ أنه كان دقيقًا في الإحالة على مصادره، فهو في أغلب الأحيان، لا يكتفي بذكر صاحب الكتاب فحسب، بل كان يشير إلى الكاتب واسم الكتاب، فيقول مثلاً: " يقول ابن خلدون في مقدمته "وبالتالي فهو يحيل إلى القارئ مصادر معلوماته عبر ذكر اسم المؤلف وكتابه.

٣ . كشف تعامل المؤلف التركي مع مصادره من البلاغة العربية، أنه كان حريصًا على نقل الكثير من المعلومات المتنوعة من مصادرها، التي يذكر غالبًا أسماء مؤلفيها، ويضع هذه النقول في مواضعها من الكتاب. وقد اختلفت طرق تعامله مع محتوى المعلومات الذي استقاه من تلك المصادر كما سيتضح فيما بعد، فهو في معظم الأحوال يأخذ الأفكار برمتها وينقل عباراتها ويضعها بين قوسين، ولكنه لم يكن يقدم على نقدها ولا يبدي إطلاقًا إنكاره وعدم قبوله لأي مصدر ذكره في مقدمته، وأحيانًا يتصرف في تلك النقول بحسب حاجته إلى ذلك، ولاسيما حين يأخذ الفكرة ويغير أسلوبه في المواضع التي لا يصرح فيها بأسماء المصادر وأصحابها، وأحيانًا يلجأ إلى الأخذ من المصدر دون أن يصرح باسمه. وقد يعزو ذلك الأمر إلى جهله بالمصدر أو نسيانه، ولربما طغى اهتمامه بطرح الفكرة على التصريح باسم مصدرها.

٤ . لم تظهر شخصية المؤلف المحلل والمناقش والناقد فيما نقل عن المصادر، فقد اختط لنفسه منهجًا يقوم على النقل دون النقاش والاتباع دون النقد، ومن الملاحظ أن المؤلف في عدم مناقشته لنصوص استشهاداته، ما يدل على تبنيه ما ينقله عن أصحابها، وأنه بذل فقط كل ما يستطيع لفهم محتويات ما ينقله.

٥ . لقد شكلت تلك النصوص التي استقاها من مصادر التراث، اتجاهاته في درسه البلاغي، حيث تمثلت في توجهه نحو المدرسة الكلامية، فبرزت من ملامحها قيامه بتحديد المصطلحات البلاغية وكثرة تعريفاته للمصطلح الواحد، وكذلك تصنيف علوم البلاغة وتحديد أركانها وقواعدها، واعتماده على الاستدلال والعلة والتضمين، وهو ما سوف يركز عليه البحث في المحورين التاليين.

المبحث الثاني : مصادر المؤلف وملامح الاتجاه الكلامي في ترسيم حدود المصطلح البلاغي

تبني المؤلف التركي جملة من الآراء والرؤى بشأن تنوع مناهج البلاغيين القدماء، شكلت توجهه في تناوله الدرس البلاغي، غير أنه من الضروري قبل التطرق إلى اتجاه الدرس البلاغي عند المؤلف نحو المدرسة الكلامية، ودور المصادر التي اعتمد عليها في تشكيل هذا الاتجاه، من الوقوف على النقاط التالية:

أ . تتعلق أولاها حول الأسباب التي أدت إلى ظهور أكثر من اتجاه في دراسة البلاغة، " لقيت البلاغة العربية اهتمامًا كبيرًا من بيئات علمية مختلفة، فعلماء إعجاز القرآن والمفسرون والأصوليونّ واللغويون والنحاة والشعراء والكتاب والفلاسفة والمتكلمون، شاركوا في إرساء قواعد البلاغة وترسيخ مباحثها وإيضاح اتجاهاتها . وكانت كل طائفة تحمل نظرة خاصة إلى البلاغة العربية، ومن ثم، ظهر اتجاهان واضحان في طريقة البحث البلاغي. فمنهم من سيطرت عليه النزعة الأدبية ويمثلها ابن الأثير، ومنهم من سيطرت عليه النزعة الفلسفية والعقلية في طريقة التأليف، ويمثلها القزويني. "[٢٤]، ويشير أحمد مطلوب في كتابه إلى قدم أمر هذين الاتجاهين، فهو " ليس وليد عصور متأخرة، ولا وليد فترة معينة ، فقد أشار أبو هلال العسكري، بأنه لم يؤلف كتابه " الصناعتين" على طريقة المتكلمين، فقال: وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب."، أي أنه قصد انتهاج مذهب الأدباء، وتجنب منهج المتكلمين، لأنه منهج ليس فيه نفع كبير في بحث الأدب ومقاييسه البلاغية والنقدية، وأنه اختار منهجا أقرب إلى روح الأدب

وهو منهج الشعراء والكتاب.[٢٥] وفي إشارة له عن البحث البلاغي عند المتكلمين، يقول شوقي ضيف في كتابه بأنهم " نفذوا إلى وضع أصولها الأولى بعقولهم الثاقبة."[٢٦]

أما المسألة الثانية، فتدور حول موقف المؤلف التركي من اتجاهات دراسة البلاغة، ويبدو أن المؤلف في هذا الصدد، لا يخفي إحاطته بها من خلال بعض الإشارات التي تكشف عن إمكانية استفادة البلاغة من مساهمة كافة البيئات العلمية المختلفة في إنماء الدرس البلاغي، ويكشف أيضًا عن تجلي مظاهر النزعة العقلية، بدءً من استخدامه لبعض المصطلحات ذات المدلولات المنطقية العقلية، حيث يقول ما ترجمته:

" من الممكن أن يستنبط العالم والشاعر والفيلسوف والمؤرخ والخطيب، من أصول البلاغة أحكامًا خاصة بهم حتى يستطيع أن يستفيد الجميع بتطبيق تلك الأحكام واستخدامها."[٢٧]

لقد أفاد المؤلف من معرفته بالبلاغيين الذين ارتبطوا بعلم الكلام وعلم الأصول، واطلاعه على مؤلفاتهم ودراسته لهم، فبرز نتيجة هذا، استفادته من حضور مصطلح "الاستنباط " بوصفه عملاً عقليًا يجعل المعرفة بعلم البلاغة دليلاً على المعارف الأخرى الجديدة المرتبطة به، ومن ناحية أخرى، يشير في أكثر من موضع إلى أهمية الدور الذي قام به تحديدًا بعض علماء أئمة العربية والنحو والكلام، أمثال الجرجاني والسكاكي، ويكشف عن وعيه بما قاموا به من دور في إرساء هذا العلم وقواعده، يقول المؤلف التركي (ما ترجمته):

" لقد صرف أعلام المؤلفين وعظماء الأدب أمثال الشيخ عبد القاهر الجرجاني، والعلامة الفاضل يوسف السكاكي، حياتهم من أجل تصنيف آثار توضح قواعد هذا العلم"[٢٨]

وترتبط المسألة الثالثة حول مكانة ممثلي الاتجاه الكلامي عند البلاغيين الأتراك، ويشير أحمد مطلوب في كتابه إلى أن "المدرسة الكلامية قد شاعت في المناطق التي يقطن فيها خليط من الترك والفرس وغيرهم من الأقوام غير العربية، وكانت خوارزم أكبر المناطق التي ظهر فيها أقطاب هذه المدرسة، أمثال السكاكي (٦٢٦هـ) والتفتازاني (٧٩٢هـ) والقزويني (٧٣٩هـ)"[٢٩]، وهم جميعًا أصحاب مؤلفات قام الأتراك بترجمة الكثير منها إلى اللغة التركية، ففي أوائل القرن السابع عشر قام مُحَمَّد بن مُحَمَّد آلتي بارمق (ت١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٣م) بترجمة

كتاب " التلخيص" للقزويني[٣٠]، ويُنسب إليه أيضًا ترجمة كتاب " المطول" للتفتازاني، وقد ظلت هذه الترجمة لمدة مائتين وخمسين عامًا بمثابة الترجمة الوحيدة لكتاب البلاغة العربي، وفي الربع الثالث من القرن التاسع عشر، ترجم عبد النافع عفت أفندي، (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م) كتاب (المطول)، وقد صرح المترجم بأنه انتهى من ترجمته عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. [٣١]

لقد شكَّلت هذه الترجمات وسيلة مهمة في أيدي المترجمين للقيام بعمل حواشي توضيحية، وتقديم نماذج وشواهد باللغة التركية، والتحرر من الشواهد العربية، وكذلك إجراء بعض الإضافات، ومن ثم، ساهمت هذه الترجمات والشروح للعديد من كتب البلاغة العربية في خلق البلاغة العثمانية، فكانت بمثابة فترة انتقالية استغرقت أكثر من ثلاثة قرون.

لم تحظ هذه المؤلفات باهتمام المترجمين الأتراك فحسب، بل امتد تأثيرها المهيمن على النظام التعليمي في تركيا، فقد تم اعتماد كتاب " التلخيص" لأول مرة بوصفه كتابًا مدرسيًا في القرن الرابع عشر، وقد استمر تدريسه حتى فترة التنظيمات.[٣٢]

وقد اتسعت دائرة الاهتمام بكتابي القزويني والتفتازاني (التلخيص والمطول)، فشملت جميع المؤلفات العثمانية التي ظهرت حتى عصر "إسماعيل حقي"، فعلى سبيل المثال كتاب "زبدة البيان" لميخاليجي مصطفى ابن مصطفى (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) المدرس بدار الشفقة الإسلامية،الذي اعتمد على هذين الكتابين في مادته العلمية، غير أنه اقتصر على علم البيان فحسب دون باقي الفروع الثلاثة لعلم البلاغة[٣٣]، وكذلك الحال عند أحمد جودت باشا، صاحب كتاب " بلاغتِ عثمانيه" الذي لجأ إلى البلغاء العرب في شرح فنون البلاغة، ومنهم القزويني والتفتازاني، واستخدم تقسيمات فنون البلاغة الثلاثة، وهو في هذا الصدد لا يصرح ـ مثل إسماعيل حقي ـ بأسماء العلماء ومؤلفاتهم، ولكنه يكثر من استخدام لفظ (يقول البعض من الأدباء العرب)، وحاول أن يقدم نظرية بلاغية تخص اللغة التركية. [٣٤]

لقد ساعد ذيوع صيت ممثلي هذه النزعة الكلامية على لجوء المؤلف التركي إلى الاندفاع نحو الأخذ من مؤلفات تلخيص المفتاح للقزويني وشرح التفتازاني له وغيرهما، وهي مؤلفات لم تخرج

عن دائرة السكاكي ونهجه، مما كان له أثره في اعتماده مبادئ المدرسة الكلامية، والتي أثرت في تشكيل مجموعة من ملامح هذه المدرسة برزت في مادته العلمية والمتعلقة بضبط المصطلحات البلاغية ، وتتمثل فيما يلي:

أ ـ ترسيم حدود مصطلح "البلاغة" وتعدد مصادرها

ولئن كانت مؤلفات القزويني والتفتازاني قد شكَّلت دورًا مهمًا في التأليف البلاغي التركي في تلك الفترة، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود اختلاف في مدى تأثير هذه المؤلفات على البلاغيين الأتراك ومن ثم، تظهر تباين أشكال ملامح هذا التأثير وصوره بينهم، ويرجع ذلك الأمر إلى العديد من الأسباب المتعلقة بالشخصية والبيئة والثقافة وغيرها من العوامل الأخرى، والخوض في هذا الأمر، يخرج عن نطاق هذه الدراسة التي تركز جُل اهتمامها على ما تركته هذه المؤلفات من أثر كبير على المؤلف التركي في درسه البلاغي وتشكيل توجهه الفكري، فظهر العديد من ملامح هذه المدرسة، ومن بينها العناية بترسيم حدود المصطلح وضبطه، والذي يعد من أهم خصائصها، وكان السكاكي وهو أبرز ممثلي هذا الاتجاه، " قد اتفقت عنايته بهذا الجانب مع رؤيته التعليمية المبنية على تزويد طالب علم الأدب بالمعيار الذي يحفظ لسانه من الخطأ في استخدام اللغة، والذي يضبط العملية النقدية بالدليل والحجة. " (٣٥)

وعلى غرار ما قام به كلا من الجرجاني والسكاكي من تحديد للمفاهيم، وتعريف المصطلحات وضبطها بتعاريف دقيقة، والتي تعد من أهم مظاهر النزعة العقلية، بدا المؤلف التركي في مقدمة كتابه متتبعًا هذا النهج، ويحدوه نفس الغاية التعليمية، كما سبق القول في المحور الأول، التي شغلت حيزًا ليس بقليل في مقدمته، وحاول أن يضع حدًا للمصطلحات البلاغية، من خلال تحويل مفهوم مصطلحات علم البلاغة العربية الى لغته، ولكي يكشف البحث عن أي المفاهيم التي تبناها عند اختياره لمصادره التي لم يذكر اسماءها، لابد أولاً من فهم المحاور التي تطرق إليها بشيءٍ من التفصيل، والملاحظ أنه قدم تعريفين للمصطلح في موضعين مختلفين، وهو في ذلك الأمر، قد استفاد من نهج السكاكي في كتابه، بإدراجه لعديد التعريفات للمسألة الواحدة، وهو بذلك الأمر قد انفرد بذلك الأمر من بين أقرانه البلغاء

الأتراك الذين لم يهتموا بالتعريفات إلا قليلًا، لقد قدم المؤلف التركي تعريفه الأول في أولى سطور مقدمته، يقول فيه (ما ترجمته):

" هو العلم الذي يقوم بتعليم حسن البيان، أي إيراد الكلام بصورة تسلب إرادة العقول والقلوب."(٣٦)

وأول ما يلفت الانتباه من التعريف السابق، أن المؤلف قد استفاد من المصادر العربية في إثبات كثير من المصطلحات البلاغية كما هي في اللغة العربية، ومنها " علم بلاغت – حسن البيان"

ولابد للبحث من الوقوف أمام هذا التعريف وتحليله من أجل الكشف عما يحمل في مفهومه من توجه انحاز إليه المؤلف وقبله من مخزون قراءاته لآثار البلغاء، وكذلك الكشف عند التنقيب حوله عن السياق الزمني لهذا لتعريف. لقد ركز المؤلف في تعريفه على جانب (جمال البيان) أولاً، ثم اهتم بإبراز الغاية من البلاغة ثانيًا، وهي تتمثل في توصيل الكلام إلى قلب المخاطب وعقله والتأثير فيهما، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان تعريفه يتفق مع ما أورده ممثلي بلغاء المدرسة الكلامية أم لا؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال، لابد من تتبع تعريفات البلاغة ومفاهيمها منذ بداياتها، حيث تشكل الدرس البلاغي عند معظم البلاغيين والذي كان يكمن في أول الأمر:" في معرفة إعجاز القرآن الكريم وبيان سحر إعجازه، وقريب من هذا ما فعله الذين ألفوا في قضية الإعجاز القرآني كالجاحظ والباقلاني والرماني وعبد القاهر، ولا يخفى أثر قضية الإعجاز القرآني في نشأة البلاغة وتطورها، ثم طرأ التحول الثاني : في المعرفة النقدية ، والذي ركز على المعرفة النقدية وهو معرفة الكلام الجيد من الرديء ، ثم التحول الثالث : وهي المعرفة العلمية ذات الصبغة التعليمية وهي الاستعانة بعلم البلاغة في إنشاء الأدب بشعره ونثره."(٣٧)

وكان القدماء، في الطور الأول الذي استمر من عصر سيبويه إلى عصر عبد القاهر، قد تناولوا تعريف البلاغة، وكانوا يستخدمون كلا من الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد، فيقولون : كلام فصيح، وكلام بليغ، ويعنون بذلك الكلام الذي استوفى الشروط التي ذكرها علماء

البلاغة، ومن ناحية أخرى، كان يطلق على البلاغة اسم "البيان"، الذي صار محط اهتمام البلغاء، وقد جعلوه أيضًا عنوانًا لكتبهم (مثل البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، حيث خصص مباحث في حسن البيان وتقسيمه)، غير أنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج، وظل البيان ومصطلحاته مدروسًا بهذا الشكل قبل الجرجاني والسكاكي، وكانت لا تزال بهذا المعنى في تفكير "ابن الأثير" (ت ٦٣٧ هـ)الذي عالج في المقدمة أصول علم البيان وعده من الصناعة المعنوية، وأوضح أن " موضوع علم البيان هو البلاغة".تلك كانت السمة الأساسية التي انطلقت منها تعريفات البلاغة في فترة ما قبل السكاكي والجرجاني، حيث كان المحور الذي تنطلق منه هو الغاية من البلاغة وكيفية إيصال الكلام إلى قلب المخاطب والتأثير فيه، فقد ذهب العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ) إلى أن البلاغة سميت بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، [٣٨]، وهذا هو ما قصده المؤلف من تعريفه الذي أورده في السطور الأولى من مقدمته، فلم يكن يقصد بحسن البيان الفنون البيانية المعروفة ، غير أنه في موضع آخر من كتابه، يجنح إسماعيل حقي عند تعريفه لعلم البلاغة إلى مفهوم آخر للبلاغة استوحاه من الجرجاني، فقد عني بها شمولها لفنون المعاني والبيان والبديع، حيث يقول ما ترجمته:

" كان المقصود بعلم البلاغة المعرَّف هنا هو المعنى الشامل لفنون المعاني والبيان والبديع، أي أنه سُمي علم البلاغة على اعتبار أن الثلاثة فنون هي علم واحد. كان قد قُصد بالبيان أيضًا في التعبيرات المستعملة مثل علم البيان وأهل البيان وعلماء البيان، المعنى الشامل للفنون الثلاثة المذكورة." [٣٩]

يتضح مما سبق أن المؤلف قام بالتفريق بين التعريفين، واتخذ سبيله إلى ذلك، دلالات ما مر بعلم البلاغة من تطورفي مفاهيمه عبر الأزمان، وحتّى الوصول إلى المرحلة الأخيرة التي تفرّد فيها علم البلاغة مع استقراره عن العلوم الأخرى. وقد اختلفت مصادره كذلك التي اعتمد عليها، رغم عدم تصريحه بأسمائها، في الصفحات السبعة الأولى من مقدمته، غير أنه كان أحيانًا يحيل إلى مصادره باستخدام كلمات مثل " يقول بعض أهل البيان – يذكر بعضهم".

وفي موضع آخر، يؤكد المؤلف على ضرورة التفريق بين اختلاف دلالات مصطلح "البلاغة" مرة أخرى، فيقول ما ترجمته:

" سوف يُفهم في مبحث البلاغة فيما بعد، أن هناك فرقًا بين البلاغة بوصفها فنًا، وبين كونها من أوصاف الكلام." (٤٠)

وفي ذلك إشارة كذلك إلى ما كانت عليه تعريف البلاغة قبل السكاكي (أي قبل أن تكون علمًا)، فقد ذهب العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ) إلى أن البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم."(٤١)

وخلال ثنايا المقدمة، يتأرجح المؤلف في استخدامه للمصطلحات بين " فن" و" علم " فتارةً يستخدم أولاهما، وكثيرًا ما يلجأ للأخير، وكما قدم للمصطلح الثاني تعريفًا له، فقد أفرد للمصطلح الأول تعريفًا خاصًا به أيضًا، وهو ما سوف يتم دراسته في موضعه من البحث.

ب ـ حد التعريف بالعلم وقضية تصنيف العلوم ومصادرهما

استعرض المؤلف في جملتين متواليتين صدَّر بهما أولى سطور مقدمته، تعريفين، فقام بتعريف مصطلح علم البلاغة أولاً (الذي قمنا بتناوله)، ثم تناول مصطلح العلم، فيقول (ما ترجمته):

" العلم: يُطلق على مجموعة من القواعد والمسائل التي ترتبط بعضها بعضًا حسب الأصول"(٤٢)

لقد آثر المؤلف أن يجعل تعريفه لمصطلح العلم، تمهيدًا للحديث عن تصنيف العلوم وارتباطها بعلم البلاغة، ففي تسلسل منطقي يتطرق للحديث عن ظاهرة تعدد الفنون والعلوم التي أصبحت تنضوي تحت لفظة العلم، والتي " لم تكن تحظى من قبل بهذا الاسم، فدخلت حقول معرفة جديدة لم يكن اسم العلم إذا أطلق ليشملها"(٤٣). ويتضح من خلال استقراء تاريخ هذه الظاهرة، أن"فكرة تصنيف العلوم – وهو عمل منهجي، يرمي إلى تنظيم العلوم وإحصائها وتوضيح العلاقات التي تربط بينها، وبيان موضع كل علم من الآخر في بناء المعرفة– كانت في صورتها البدائية معروفة لدى الحضارات القديمة، ثم اتضحت معالمها على يد فلاسفة اليونان. ثم سرعان ما بدأت تشكل "إحدى أهم المباحث العلمية التي ازدهرت بشكل ملحوظ

في الحضارة الإسلامية، وكانت قد بدأت في الظهور منذ أواخر القرن الثاني الهجري، على يد جابر بن حيان، وبدأت تستقوى بسبب تنوع الروافد الثقافية وضروب المعارف في القرنين الثالث والرابع، مما استدعى قيام المفكرين ممن لهم صلات قوية بالثقافات الأجنبية، وخاصة اليونانية، بعقد المقايسات والمقارنات على المستوى النظري للتصنيف، ومن بينهم ابن سينا والفارابي والتوحيدي، ومُحَمَّد بن إسحق النديم ومُحَمَّد بن أحمد الخوارزمي (صاحب كتاب مفاتيح العلوم) على المستوى التطبيقي العملي للتصنيف. ومن ثم، صارت بعد فترة وجيزة من انطلاق الحركة العلمية في المجتمع العربي الاسلامي، علما قائما بذاته له مبادئه وأصوله وأهدافه" (٤٤)

وعلى الرغم من ذلك، فإن المؤلف التركي لم يلق الضوء على ظاهرة تصنيف العلوم وتقسيمها مستندًا إلى تأريخها بوصفها حركة علمية في المجتمع العربي الإسلامي، لكنه اكتفى بالإشارة إلى سبب آخر من أسباب هذه الظاهرة، والمتمثل في كثرة العلوم التي كانت سببًا في توسيع دلالة لفظ العلم، فصار بصيغة الجمع، بما حوى تحته من تفريعات. مما ألجأ العقل البشري نحو البحث عن الوحدة بين هذه العلوم، التي بدأت أعدادها تتكاثر يومًا بعد يوم، فتم تمييزها عند ثلاثة أقسام"، يقول المؤلف ما ترجمته:

" كما هو معلوم، أن العلوم كثيرة للغاية، وهي في ازدياد في كل يوم، في حين أن كل علم منها لم يكن سوى فرع من الإدراك الكلي للأشياء، إن العقل البشري مثلما هو الحال في الفنون، يبحث عن الوحدة بين العلوم." (٤٥)

وفي بحثه عن الوحدة بين العلوم، يتطرق المؤلف نحو التقسيم الفلسفي للعلوم، فيقول ما ترجمته:

" لقد فتح الفلاسفة القدماء أفاقًا جديدًا لتصنيف العلوم وترتيبها، ووجد أعاظم الفلاسفة المتأخرين لها حلاً بدرجة تساعد على مقاربة هذه المسألة المعقدة. ترجع التحليلات الحالية في واقع الأمر إلى ثلاثة أشياء، حيث تميز ثلاثة أشياء في كل علم، أولها أن العقل البشري هو من يتصف بالعلم في العلوم كلها وفي كل زمان ومكان، وثانيهما أن الموضوع يرتبط بالعلم ذاته،

وهو يتغير وفقًا للعلوم المختلفة، وثالثهما، أن العلم ذاته يمكن تعريفه بأنه علاقة ذهنية تربط بين العالم وبين الموضوع المتعلق بالعلم." (٤٦)

لم يكن المؤلف التركي ليغفل دور هذا التصنيف في الوقوف على العلاقات بين العلوم وتداخلها فيما بينها وهل هي متكاملة فيما يعرف بوحدة العلوم والمعارف (وهو ما يسمى حديثًا بالتكامل المعرفي بين العلوم)، وهو ما له انعكاساته على اختياره لطبيعة المصادر التي اعتمد عليها واستقى منها مادته العلمية حيث يواصل حديثه السابق منطلقًا نحو الكشف عن توجهه في دراسة علم البلاغة الذي يعتبره قسمًا من أقسام العلوم الأدبية، يقول الكاتب ما ترجمته:

"يعد علم البلاغة قسمًا من أقسام الأدب، وبتعبير آخر من العلوم الأدبية، وينقسم الأدب إلى ثلاثة عشرة قسمًا، تسعة منها أصول، وأربعة فروع، أما الأصول فهي: اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض وفنون القافية، أما الفروع فتتمثل في الإنشاء وقرض الشعر وفنون المحاضرة والخط يعني فن الإملاء، وقد اتخذ البعض علم البديع ذيلاً لعلمي المعاني والبيان، واعتبروا أصول الأدب ثمانية"(٤٧)

ويختلف المؤلف التركي مع أحمد جودت في عدد علوم العربية، حيث تبلغ عند الثاني اثني عشر قسمًا، ثمانية منها أصول، وأربعة فروع، ص٨–٩) غير أن فكرة الأصل والعرف كانت قد تجلت في مختلف علوم اللغة العربية منذ العصور الأولى للتنظير اللغوي العربي، بدءًا بعلم النحو وعلم الصرف إلى علم الأصوات وعلم العروض"، والتي اختلف العلماء حولها، فقد تعرض لها ابن حزم والكندي وابن سينا والغزالي ، واختلفوا في تقسيمهم العلوم إلى أصول وفروع ، كما اختلفت معاييرهم التي استندوا عليها، حيث يرى الزمخشري (أن للعربية "اثنيعشر علمًا، غير أن أصولها أربعة: اثنان يتعلقان بالمفردات وهما اللغة والصرف، يليهما الثالث وهو علم النحو، فإن المركبات هي المقصودة منه، وهي كالنتيجة لها، ثم يليهما علم المعاني"(٤٨)، غير أن أول من أطلق على هذه المعارف اللغوية مصطلح " علوم الأدب"، هو "

أبو البركات الأنباري(٥١٢-٥٧٧هـ) وهي عنده النحو واللغة وعلم أصول النحو والتصريف بالإضافة إلى العروض والقوافي وصنعة الشعر وأخبار العرب.[٤٩]

ج ـ تحديد مصطلح "فن البلاغة" وأركانه من خلال المصادر

كان المؤلف في مرحلة تحديد مصطلحاته ملتزمًا بالحديث عن ضبط ما يخص تعريف مصطلح "علم البلاغة"، غير أنه عند وصوله لتحديد أركان البلاغة، سبقها بكلمة " فن"، وقد أشار في كتابه من قبل إلى وجود فروق بين البلاغة بوصفها فنًا، وبين ما توصف الكلام بالبلاغة، حيث يحدد تعريفًا للمصطلح الأول وأركانه بقوله (ما ترجمته)

"إن صنعة (فن) البلاغة هي فيوضات نورانية، تنثر ضياؤها على جميع العلوم والفنون، ومن أجل أن يكون هذا الفن مكتملاً، لابد من أن يكون الفنان على قدر من إحاطته بالمعلومات، غير أن أركانها أي آلاتها وأدواتها الرئيسية التي تفتقر إليها، فهي أربعة:

١. القوى العقلية

٢. الوقوف على أصول البلاغة وقواعدها

٣. مطالعة كلام البلغاء

٤. الإدمان والممارسة."[٥٠]

لقد تأرجح استخدام المؤلف في مقدمته ـ كما سبق القول ـ بين مصطلحي (علم البلاغة ـ فن البلاغة) ، وقدم تعريفاته لهما، وهو مدرك الفرق بين العلم (ويضم القواعد والحدود) وبين الفن (باعتباره دربة وملكة وذوق)، ولابد عند فحص ما قدمه من تعريف لفن البلاغة، من الوقوف على نقطتين مهمتين، وهما: الوقوف على هذا التعريف وأبعاده، ومعرفة مرجعيات المؤلف التي استند عليها في حديثه عن أدوات فن البلاغة. ويتخذ صور اقتباس المؤلف من كتب التراث في تعريفه لهذا الفن شقين، أولهما فلسفي، والآخر بلاغي، أما البعد الأول، فهو بعد خارج عن نطاق البلاغة، ويتسم بنوع من محاولته القيام بتجديد لم يجد البحث أصلاً له من قبل، لقد أراد أن يطبق نظرية الفيض النوراني[٥١] على فن البلاغة، رغبةً منه في أن يزيد من قيمته ويثري معانيه عن طريق مجموعة من الأدوات التي حددها في نقاطه الأربع المذكورة سابقًا،

وهذه النظرية كانت قد طُبقها المتصوفة في أدبهم، ونتج عنها الفلسفة الإشراقية. ووفقًا لهذه النظرية، يمكن الاستنتاج بأن المؤلف يرى في فن البلاغة أنها نور الأنوار، وهي مصدر جميع العلوم والفنون التي تصدر عن إشراق هذا الفن وفيضه، وبمعنى آخر أراد أن يميز مرتبة فن البلاغة عن باقي العلوم والفنون التي تندرج تحته، ولئن كان العقل هو أساس نظرية الفيض، فقد جعله المؤلف أولى آليات هذا الفيض النوراني، ومن ثم، فإن العقل لا يميز إلا هذا الفن الأرفع، لقد منح المؤلف أهمية كبيرة للقوى العقلية، وصدَّر حديثه عنها بتعريفها قائلاً (ما ترجمته):

" العقل هو وجود نوراني، وجوهر روحاني، خفيٌّ لا يُرى عيانًا، ولكن آثاره الخارجية جلية ظاهرةً، فزمام تصرف البدن والجسم، مقترن برأيه وتدبيره، فهو عبارة عن النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله "أنا،"[٥٢]

وقد توقف البحث عند هذه التعبيرات الفلسفية (وجود نوراني، جوهر روحاني) ، في محاولة للوصول إلى الأصل الفلسفي الذي أخذه منه، وبعد طول التنقيب بين المؤلفات المعنية بالموضوع، تم العثور على المصدر الذي استقى منه المؤلف التركي معلوماته عن العقل، وعلى الرغم من أن المؤلف كان في مسار بحثه البلاغي يشير في كثير من الأحوال إلى من استقصى منهم معلوماته، وأخذ عنهم الآراء، إلا أنه في بعض الأحيان كان يأخذ من غيره دون أن يذكر اسمه، فقد أخذ المؤلف تعريفه السابق للعقل من مُحَمَّد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني [٥٣]، ولم يصرح باسمه، ولم يقل " قيل" مثلما فعل الجرجاني في تعريفه التالي للعقل في كتابه " التعريفات" :

"العقل جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله " أنا" ، وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل وقيل العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف."[٥٤] وفي تعريف آخر له كذلك يقول: " هو جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة."[٥٥]

وعند الربط بين ما قدمه المؤلف من تعريف للبلاغة وبين العقل باستعمال عملية الاستدلال والقياس، يتضح ما يلي:

فن البلاغة فيض نوراني

العقل وجود نوراني

الاستنتاج: فن البلاغة وجود نوراني

ومن هنا، تبرز في تعريف المؤلف غلبة النزعة الصوفية الممتزجة بالفلسفة، حيث يستفيض حول أهمية الدور الذي يلعبه العقل، من حس وإدراك وتصور وتمييز وإطلاق الأحكام واستدلال وإرادة، وكذلك دوره الكبير في تعريفنا بعظمة الخالق، وقد أورد بضع شواهد من الشعر الفارسي والعربي، واختتم حديثه بذكر مجموعة من الآلات تخدم العقل، والتي يُطلق عليها اسم " القوى العقلية"، وقد ذكر منها خمس آليات تخدم علم البلاغة، وهي: الذهن والخيال والذاكرة والحواس الظاهرة والذوق

وهي آليات تتعلق برؤى الفلاسفة حول قوى العقل أو النفس الناطقة، وقدمها الجرجاني في كتابه التعريفات، والتي لم يبتعد عنها المؤلف في كلامه عنها، فقد أخذ منه تعريف الخيال دون أن يصرح بذلك، حيث يقول (ما ترجمته): " هو قوة تنقش (أي تنطبع) في نفوسنا صورة للمدركات من المحسوسات من بعد فقدانها."[٥٦]

وهو التعريف ذاته الذي قدمه الجرجاني في كتابه عن الخيال، حيث يقول:

" الخيال هو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك.."[٥٧]

لقد أسهم مخزون المؤلف الذي قرأه عن تلك القوى من التراث الفلسفي، وخاصةً من كتاب التعريفات للجرجاني، في تشكيل فكره ومحاولته تطبيقها في المجال البلاغي.

ابن الأثير والبعد البلاغي في تعريف المؤلف:

ومن الأعلام الذين اعتمد المؤلف على آرائهم في عرض قضاياه البلاغية ابن الأثير، فقد أفرد للحديث عنه صفحات طوال له ولإخوته، وكان من الطبيعي أن نجد أثره واضحًا في

الكتاب موضع الدراسة، فهو لم يكتف بتتبع أفكاره واستخدام مصطلحاته، بل قام بضم مجموعة من الاستشهادات استخرجها من كتابه حول آراءه عن علم البيان وأدواته، حيث يقول مترجمًا ما نقله:

" اديب نامدار " ابن اثير" المثل السائر" نام اثرنده ديركه تأليف نظم ونثره نسبتله علم بيان، احكام وادلهء احكامه نسبتله اصول فقه منزله سنده در. (٥٨)

أما النص الأصلي من كتاب ابن الأثير المسمى" المثل السائر"، فهو: إن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام"(٥٩)

ويلحظ طول المادة التي اقتبسها المؤلف من ابن الأثير، حيث أطال في النقل عنه من الفصل الثالث المتعلق بأدوات علم البيان، واستغرق في نقله أكثر من صفحتين من كتابه. (٦٠)، غير أنه في تعريفه لفن البلاغة، تبنى فكر ابن الأثير ولم يصرح بذلك الأمر، فقد أخذ منه آليتي مطالعة كلام البلغاء والإدمان والممارسة، وهي مصطلحات أوردها ابن الأثير عند الحديث عن أدوات علم البيان، فقد حدد ثماني من الآلات التي يحتاج إليها الخطيب والشاعر، حيث يقول في " المثل السائر":

"اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة..... " هذه الآلات الثماني هو كالأصل لما يحتاج إليه الخطيب والشاعر، ومعرفته ضرورية لابد منها..:"(٦١)

ويقدم ابن الأثير لقارئه هاتين الآلتين، فيقول:

" ...الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه"..... " الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظور والمنثور، فإن في ذلك فوائد جمة، لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويُعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك..." (٦٢)

"... إن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول إمكانا وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك واستنبط بإدمانك ما أخطاك وما مثلي فيما مهدته لك من هذه الطريق إلا كمن طبع سيفا

ووضعه في يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلبا فإن حمل النصال غير مباشرة القتال"(٦٣)

المبحث الثالث: مصادر المؤلف وملامح (الاستدلال ـ التعليل ـ التضمين)

أولاً: الاستدلال ومعالجة أصول البلاغة

لئن كانت البلاغة العربية إحدى علوم العرب الأصيلة التي نشأت في حضن القرآن الكريم، بحثًا عن وجوه إعجازه وأسراره، فإن البلاغة التركية قد نشأت في أحضان البلاغة العربية، ومن ثم، لم يجد المؤلف التركي أصولاً لبلاغته ولا قواعدًا أجدر من أن تتبع، غير أصول البلاغة العربية، والجدير بالذكر أنه يعتبر مؤلفيها من أسلافه، ومن ثم، يوجب معرفتهم قائلاً ما ترجمته:

من الضروري الوقوف على أصول البلاغة وقوانينها، فهي تعلمنا اجراءات فحول المؤلفين، ومسالكهم التي التزموا بها ونشروها، وأساليبهم التي كانت باعثًا على نجاحهم (توفيقهم). إن تتبع شواهد الأعاظم بشكل مباشر، وإمعان النظر والملاحظة، وكذلك شغف اعتلاء أرقى أسباب النجاح في الصنائع الحرفية، وجميع الفنون العقلية، لا يمكن أن تحل محلها. فهي تلخص لنا الفن من أجل إفادتنا من ملاحظات أسلافنا."(٦٤)

ويختلف إسماعيل حقي في عدم إلحاق كلمة" العرب " إلى البلغاء، مع أحمد جودت، الذي يرجح استخدام كلمة العرب فيقول في أكثر من موضع : " يقول علماء العرب – يطلق البعض من أدباء العرب.." (٦٥)

ويؤكد إسماعيل حقي على أهمية معرفة هذه القواعد، ويرى الاستخفاف لا يصدر إلا من ذوي العقول السقيمة، فيقول ما ترجمته:

" إن الاستخفاف بقواعد هذا الفن الجليل، لا يصدر غالبًا إلا من ذوي العقول السقيمة"(٦٦)

ولا يكتفي المؤلف بما ذكره عن فوائد الوقوف على تلك الأصول التي ذكرها، وإنما يضيف ثلاثة فوائد أخرى قائلاً (ما ترجمته):

" وخلاصة القول، فإنه في أصول وقوانين علم البيان ثلاث فوائد:

أولًا: أنهم يقومون بتعليم أي الوسائل التي ينجح بها الدهاة

ثانياً: يرشدون إلى الأخطاء التي سقط فيها الدهاة

ثالثًا: أنهم يوفرون الوقت علينا بما حققوه لنا من ثمرة تجارب العديد من العصور." [٦٧]

وفي بحثه عن أصول البلاغة، استند المؤلف إلى الاستدلال البلاغي، وهو مصطلح ساد استخدامه في معظم العلوم والمعارف الإسلامية العربية، لاسيما علم الكلام والفقه والمنطق والفلسفة والأصول والنحو والبلاغة، والذي يعني استعمال دليل علمي منطقي لخدمة رأي ما سواء لدعم رأي أو نقضه، وهو ينقسم إلى أقسام مختلفة، وذلك طبقًا لمعايير مختلفة، فمنها الاستدلال الاستنباطي، الذي يتخذ فيه التفكير طريقة من العام إلى الخاص، أي من المبدأ العام إلى التطبيقات الجزئية، إن المنهج الاستنباطي يبدأ البحث بالاعتماد على كلية عقلية عامة، وهي ما تسمى بالمقدمات التي قد تكون فكرة مبرهن عليها أو بديهية أو غيرهما ثم نستنبط منها النتائج الجزئية الخاصة، وذلك وفق المنطق الشكلي. إن النتائج عبارة عن أفكار تنبثق منطقيًا مما يسبقها، وقد استند أهل البيان إلى الاستدلال الحجاجي التي كان له وظيفة تأثيرية في الإقناع، وصارت له العديد من صور الاستدلال البلاغي، وقد اعتبر السكاكي في مفتاحه الاستنباط يساوي القياس[٦٨]، كما استفتح عبد القاهر الجرجاني كتابه " أسرار البلاغة" بالحديث عن البيان وهو يقر أنه ينتهج آلية الاستدلال للوصول إلى حقيقة الأسس والمفاهيم التي تبنى عليها البلاغة العربية. [٦٩]

وإذا كانت مجالات الاستدلال يتسع استخدامها سواء من النواحي العقلية للتدليل على الآراء والاحتجاج لها، فإن المؤلف التركي يبدو فيما سلكه المؤلف التركي من طرق الاستدلال متأثرًا بما استوعبه من مؤلفات عبد القاهر الجرجاني والسكاكي، قد وظف هذه الآلية سواءً عند ضبط مصطلحاته أو عند طرحه أدلته في النواحي الموضوعية الأخرى، ولذا يكثر في مقدمته من استخدام مرادفات تتعلق بالدليل والحجة، وكذلك يتبع خلالها نظامًا استدلاليًا ساعده من الانتقال المنطقي من المقدمات إلى النتائج بواسطة روابط سببية وخواص ضرورية للظواهر من

خلال عموميتها، والشاهد على ذلك ما أبداه من رؤية خاصة حول البلاغة وأصولها، وعوامل تغير بلاغة الشعوب نتيجة اختلاف الذوق، حيث يقول ما ترجمته:

"وإذا دقق النظر إلى لغات شعوب العالم، فمما لا شك فيه أن خاصية البلاغة تفيض من منبع واحد، إلا أنها تتلون بأداء خاص بصورة تتلاءم مع لغة كل بلد، ووضعية ألفاظها، وعندما يتم تجريد ما يبدو داخل بلاغة كل قوم من أطوار خاصة بها، ومن ثم، يتم تخليصها من لوازمها وضروریاتها، وما يبدو من اختلافات وتباين فيما بينها من حيث بعض التعريفات والتقسيمات وباقي الفروع ، فإن الذوق يكون مشتركًا في حقيقته في جملة البلاغة، ولكنه يتمايز عن بعضه بعضًا مع كل لغة، عند الاقتران بمختلف أنواع الجمال والزخرفة، وفي بعض اللغات تظهر هذه الخصيصة آثار جماله وكماله، في صورة خارقة معجزة وبشكل أكثر جاذبية."[٧٠]

وفي حديثه عن أصول البلاغة عند شعوب العالم، تطرق للكلام عن الذوق باعتباره منبع البلاغة، وقد احتل الذوق مكانة مهمة عند المؤلف، فقد أفرد له مقالاً في مقدمته، عكس فيه رؤيته المتعلقة بخاصية البلاغة عند شعوب العالم، والتي تنبع من فيض الذوق الذي يعمل على توحيد البلاغة فيما بينهم، رغم اختلاف أشكاله وانفراد كل أمة بخصائص تميزه عن غيره، ونتيجة لهذا، أراد الاستدلال بما ذكره ليتمكن من الانتقال في حديثه من العام إلى الخاص، فيتحدث عن لغته وكيفية أحوال البلاغة فيها، وخصوصيتها ومدى قابليتها لتطبيق أذواق اللغات الأخرى على لغته، يقول ما ترجمته:

" وفي لغتنا رغم أنها تشترك مع اللغات الأخرى في هذا الفيض، إلا أنها لا تقبل أن تشترك في مسلك خاص بها، بسبب أن هذا الفيض الرباني يتجلى في طور خاص بها. وعلى الرغم من أن لغتنا تقبل اقتباس الأذواق الأساسية من قواعد مدونات البلاغة في اللغات الفاضلة، إلا أنه من العبث تطبيق تلك القواعد في لغتنا تطبيقًا تامًا، إذ إنه سيكون بمثابة تعريف سمات شخص ما بشمائل تتعلق بسمات أشخاص آخرين"[٧١]

ويحرص المؤلف على أن يقدم تفسيرات حول ظهور العيوب التي قد تواجه قواعد تدوين البلاغة، يقول ما ترجمته:"

"يجب أن يكون معلومًا، أنه حتى لو كان هناك فقدانًا أو نقيصة في بعض نواحي قواعد البلاغة المدونة في لغة ما، فإن ذلك لا يرجع إلى البلاغة في حد ذاتها، وإنما يعود إلى تصوير البلاغة، إذ إن الفقدان والنقيصة يحدثان في الاستنباط، فالقواعد لا تؤلف البلاغة، وحتى القواعد يتم استنباطها من آثار الدهاة البلغاء، وإلا، فإن ماهية الجمال، لا تكون في البلاغة الموجودة ذاتها في كل مكان."(٧٢)

وفي موضع آخر يشير إلى نسبية الذوق بين النقاد حول مسألة بعينها في المؤلفات المعنية بباب المعاني، فيقول ما ترجمته:

" يغلب على كتب المعاني أن ينتقد مستنبط، تلك المسألة، في حين يأتي آخر وينتقد تلك المسألة ويكشف عن المسألة ذاتها بصورة أكثر جمالا من سابقه." (٧٣)

وبعد ذلك، يقدم نقده حول ما يقدمه الأدباء والخطباء (البلغاء) الأتراك من آثار لا تتسم بأية سمة أو مزية جديرة بأن تكشف عن ذوق جديد جدير بالذكر، وهو لا يتردد في الرد على الاعتراضات التي وجهها البعض لأصول البلاغة، فيقول ما ترجمته:

" على الرغم من أنه لم يسفر البحث في آثار أدباءنا وخطبائنا، عن أي فضل أو مزية حتى الآن من فيض البلاغة يكشف عن ذوق جديد جدير بأن يطلق عليه اسم خاص به، إلا أن ما يوجهه البعض من اعتراضات بصورة غير لائقة على قواعد اللغات أخرى التي كنا نطبق أصول البلاغة على لغتنا تحت ارشادها، تعود إلى عدم الوقوف على مناحي البلاغة وانعدام الدقة في الكشف عن تلك الحقائق. وبدت تلك القواعد مع مرور الوقت وكأنها لم تقتبس من هذه أو تلك، في الوقت الذي عجز فيه الكثير من النقاد أن يكشفوا عن أصول تلك القواعد في سماء البيان في الوقت نفسه." (٧٤)

وتبدو من خلال ما يظهره المؤلف من نقد لهؤلاء المعترضين، أن هناك بواعث كامنة عند التركي، تعكس تفسير ما يحدث من صراع وظهور اعتراضات يوجها البعض ضد قضية تطبيق الذوق، والتي كانت مثار جدل في عصره، فضلا عما عكسه الصراع بين مؤيدي البلاغة القديمة وبين مؤيدي البلاغة الحديثة، والتي أبدى فيه موقفه من هذا الصراع في الدفاع عن البلاغة

القديمة، وهو في الوقت نفسه يبدي تعجبه إزاء من يوجه نقده تجاه أذواق لغة أخرى يطبقها في لغته هو، فيقول ما ترجمته:

"كما قلنا، فإنه بسبب وجود مسلك خاص في كل لغة، فإن من بواعث الضحك، قيام الذين يعانون من العجز من أرباب اللغة بنقد خصوصيات أذواق اللغات الأخرى، وهم أنفسهم يقومون بتطبيقها على أذواقهم." (٧٥)

ومن يدقق النظر فيما قدمه المؤلف التركي من رد تجاه أؤلئك المعارضين، يتلمس دافعًا ثالثًا قد جعله يتجه نحو تلك الآثار، ألا وهو ما يعاني منه الأتراك من فقد لمقومات الذوق الخاص بهم، وهو ما أثار سخريته على من ينتقد أذواق قوم هم أنفسهم يفتقدونها، بل وينهلون من معينها في أدبهم

ثانياً:ـ التعليل والقياس في قضية تدوين علم البلاغة

بعد أن استقرت حدود تعريف المصطلحات البلاغية عند المؤلف في مقدمته التي استغرقت أكثر من عشرين صفحة، أراد أن يستفيد من كل معطياته العلمية التي تمثل مخزونه من قراءاته للتراث البلاغي، وبدا وكأنه يحاول دراسة علم البلاغة على غرار المتكلمين والأصوليين في التراث البلاغي الذين كتبوا حول تدوين البلاغة العربية وأسبابها، فهو يبحث مثلهم عن العلل ويقوم بالتفسير والكشف عنها في قضايا البلاغة علميًا ومنطقيًا، حيث يرى أن تدوين علم البلاغة مثلها مثل العلوم لها علة غائية، فيوضح قائلاً ما ترجمته:

" كما أن لتدوين العلوم جميعها علة غائية، فإن لتدوين علم البلاغة أيضًا دوافع انبعثت من شغف الإحاطة بقضايا البلاغة وأسرار الفصاحة وبيان المعاني والدقائق واللطائف. نحن مفتونون بالآثار القيمة للبلغاء الدهاة، إن عدم كفاية تجاربنا وعجز أحاسيسنا، فضلاً عن إن الإحاطة بأسرار وخواص ما تتضمنه تلك الآثار، يسوقنا بالطبع نحو تتبع وتقصي ماهية الأسباب التي توسلت بها لتحقيق الفلاح والتوفيق، وبأي طريقة يمكن قبول ما تشكله صور ذلك الفلاح في بيان وتصوير أفكارها للسعداء من ذوي جمال الطبيعة الملهمة، هكذا يكون علم البلاغة هو ثمرة تتبع هذا التقصي."(٧٦)

إن الحديث عن العلة المذكورة على لسان المؤلف التركي . وهي تعد إحدى العمليات العقلية المنطقية في صياغة الظواهر اللغوية أو البلاغية .كان يمثل ملمحًا بارزًا في كتابات العلماء العرب الأسلاف، فكان اهتمامهم الشديد بهذه المسألة جعلهم لا يطرحون أية فكرة دون التعليل، بل إنهم جعلوها في مقام الركن الرابع من عملية القياس، " إذ لا يمكن إلحاق المقيس بالمقيس عليه دون وجود علة جامعة بينهما وعلى أساسها يجب للمقيس حكم المقيس عليه، وبهذا فالعلة في القياس هي القرينة أو العلامة، التي إذا وجدت في الكلام أو في مقام تحقق الحكم بسببها مقام تحقق الحكم بسببها وهي –تجوزا–السبب الموجب للحكم وبهذا على العموم العلة هي مجموعة من الصفات التي تجمع بين المقيس والمقيس عليه."[٧٧]

لقد تبنى كلاً من الجرجاني والسكاكي فلسفة العقل (المنطق) وتميزا بقدرتهما على تطبيق القياس المنطقي الذي لا يخلو من التعليل العلمي البناء والاستنتاج وإقرار الأحكام وتخريج الآراء، غير أن السكاكي كان قد استفاد من كتابي عبد القاهر الجرجاني" أسرار البلاغة " و "دلائل الإعجاز "، وقد تمهدت قواعد البلاغة تمهيدًا، وتمت بناءً وتحديدًا، وانحصرت أصولها وفروعها[٧٨]، فالسكاكي . حسب شوقي ضيف " استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله إلى عمل ملخص دقيق لما نثره أصحابها من آراء وما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار ، وصاغ ذلك كله صيغة مضبوطة محكمة استعان فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتسبيب."[٧٩]

لقد تتبع المؤلف التركي نهج هذين العالمين، من خلال محاولته المنطقية في تشكيل قضيتين بسيطتين التي يترتب على مقدمة القضية الثانية (وهي المقيس عليه، وتتمثل في علة تدوين علم البلاغة)، نتيجة القضية الأولى (وهي المقيس، وتتمثل في علة تدوين جميع العلوم).

هذا فضلاً عن أن الكاتب في مقولته السابقة، يبرز مسألة مهمة تكشف لنا عن دوافع تدوين الأتراك لعلم البلاغة، وهو تصريح واضح وصريح سجله المؤلف في كتابه، عبر من خلاله عن حبه وشغفًه وإجلاله وافتتانه بآثار البلغاء الدهاة أصحاب الفصاحة والبيان والبلاغة من خلال لفظة" نحن مفتونون "، وهو إلى جانب ذلك، لا يستطيع بالطبع أن يتجاهل ما ذكرته كتب التراث حول بواعث تدوين الفنون الأدبية، فينقل عنها ما يلي:

" لما وصلت شعاع شمس الدين الأحمدي في مبادئ الخلافة، إلى حدود الهند والصين، وإلى تخوم الأندلس من ناحية، اتسعت دائرة الإسلام، ودخل الأتراك والعجم والروم في هذه الدائرة الناجية أفواجًا واختلطت طائفة العرب وائتلفت مع الأقوام المذكورة." [٨٠]

غير أن ما قام به من تمثله للمتكلمين ومحاولاته البحث عن العلل، يخفي وراءه رغبته في محاولة القيام ببناء قاعدة معرفية خاصة بالبلاغة التركية وتدوينها ودوافعها، كما تخير لها أصولاً وأركانًا وقوانينًا، جعل العقل أولى أدواتها كما أوضح البحث.

ثالثاً: ملامح التضمين عند المؤلف

التضمين معناه دمج شيء بشيء أو إلحاق نص وأخذ معناه، وقد كثر ورودها في مفتاح العلوم، بوصفها مظهرًا من مظاهر النزعة العقلية، لاعتماده على الاستدلالية والاستعانة بالدليل وضمه إلى معرفةٍ مرجو تحقيق صدقها، ومن ثم، لا تخلو مسألة من المسائل اللغوية تقريبًا وفي كل باب منها، سواء أشار السكاكي لوجوده أو لم يشر، أما المشار له فبعديد من العبارات كأن يقول: يقولون، وعلى رأي الأصحاب وغير هذا من العبارات."[٨١]

ولقد استطاع المؤلف التركي قراءة عدد من كتب التراث البلاغي وأفاد منها، واستقى منها مادته العلمية في طرح المفاهيم الخاصة بالأدب وعلوم البلاغة، وأراد أن يحتذي بمسلك علماء البلاغة العرب، في كثرة إيرادهم الشواهد والأدلة والأمثلة التي كان لها أثر مهم في دعائم التقعيد البلاغي، بما ساد بينهم من فتح باب الاستشهاد البلاغيّ على مصراعيه[٨٢]، فقام بالنقل الحرفي من مصادره دون تدخل منه ومن غير أي تحليل أو نقد، والجدير بالذكر أن المؤلف يعرف مكانة الشاهد في العلوم العربية والإسلامية بوجه عام وفي الدرس البلاغي بوجه خاص، وهو يؤكد على هذا الأمر في أكثر من موضع، حيث يقول ما ترجمته:

" إن جميع فحول الخطباء والبلغاء، قد استفاضوا من جميع أعاظم الأساتذة الفصحاء، واقتبسوا من أنوار الشواهد، فيض كمال أدبهم."[٨٣]

وهو يميز في هذه المسألة بين أمرين، أولهما الحث على قراءة آثار البلغاء القيمة وما تحمله من فوائد عظيمة كما أوضح البحث سابقًا، وبين أهمية الوقوف على شواهد هؤلاء البلغاء، والتي يفرد لها مساحة من كتابه، ويبرزها في قوله:

(إن تتبع شواهد الأعاظم بشكل مباشر، وإمعان النظر فيها وتفحصها، وبدونها لا يمكن الوصول لأرقى أسباب النجاح في الصنائع الحرفية، وجميع الفنون العقلية، فهي تلخص لنا الفن من أجل إفادتنا من ملاحظات أسلافنا."(٨٤)

ويقول في موضع آخر (ما ترجمته):

" أما هذا الفن، فهو بحق ملكة من ملكات الفكر، بسبب احتوائه على كل أنواع التأمل الناشئ عن المطالعة الدقيقة لأعاظم الشواهد بدقة." (٨٥)

وعند إمعان النظر إلى طبيعة استخدام المؤلف لها وطرق تعامله مع هذه الاستشهادات، يتضح أن له منهج خاص تميز بمجموعة من الخصائص، نذكر من بينها:

١ . كان الأساس الذي ارتكز عليه المؤلف في استشهاداته، هو فكرته عن البلاغة العربية ومكانتها ووجوب الاحتذاء بعلمائها، ومن ثم، قام منهجه على النقل، فهو قد أخذ عن علماء التراث البلاغي، ولكنه اجتهد في هذا النقل، ونادرًا ما أبدى فيه رأيه. لقد بدا وكأنه يريد هضم التراث العربي القديم وإبرازه في صورة تفيد البلاغة التركية ومخزونها الأدبي.

٢ . كان المؤلف ينقل استشهاداته نقلاً حرفيًا، وكان يطيل في النقل أحيانًا، وأحيانًا أخرى كان يقتطع من النص ويبقي منه ما يراه مناسبًا لما يريده، فيغير بذلك المعنى الذي أراده صاحب النص الأصلي كما سيوضح البحث.

٣ . تمثل الاستشهادات ذخيرة ذات قيمة بلاغية كبيرة عند المؤلف،وبدونها لا يمكن تعلم قواعد علم البلاغة وأصوله، فهي تمثل أداة مهمة لا تقل أهمية عن معرفة تلك القواعد، وكان يرى أن أعظم الشواهد تأثيرًا هي تلك التي تستطيع إلقاء الضوء على مسألة واحدة فحسب، كما وضح البحث فيما سبق.

٤ . اتخذ المؤلف في استشهاداته منهجًا يقوم على توظيفها بوصفها معيارًا أو حجةً يستند إليها في دعم فكرته، أو بهدف التقعيد البلاغي التركي، وهو ما له أثر كبير في أن يجعل المتلقي التركي مطمئنًا إلى المادة البلاغية الموجودة فيها، فضلاً عما تقوم به من توضيح الرؤية والمنهج.

٥ . غير أنه من خلال النظرة الفاحصة لمجموع تلك المصادر التي اعتمدها في كتابه، يتضح أن المؤلف قد أخضعها لمقاييس اختيار تتوافق مع الفكرة المطروحة، وتخدم أهدافها. ومن ثم، يستشف البحث بعض المقاييس العامة التي اعتمدها في انتقائه لها، وتتصدرها غاية المؤلف وتوجهاته ومقاصد الأفكار المطروحة، فضلاً عن أنه كان ينتقي من كتب التراث البلاغي ما يحوي بين دفتيه استشهادات سواء لأهل العرب وكذلك المولدين، من أمثال ابن رشيق، وابن جني، (كما سيوضح البحث)، كما اتضح من مجموع المصادر التي استقى منها مادته العلمية، أنه انتقى من بينها المصادر التي ترتبط فيما بينها بقواسم مشتركة في رؤيتها البلاغية، كما أنها تنتمي زمنيًا في الفترة الممتدة من القرن الرابع حتى القرن السابع.

٦ . قام المؤلف بتوظيف استشهاداته من المصادر التي نهل منها مادته العلمية في العديد من المهام، بما يتواءم مع ما يريده من توضيح أو تفسير، كما أنه عوَّل على استشهاداته منها لكي يخفف عليه عبء التوضيح والتفسير، فقام بتوظيفها من أجل إثبات أفكاره وتقوية حجته في القضية المطروحة.

٧ . غير أنه من خلال نظرة فاحصة لمجموع تلك المصادر التي اعتمدها في كتابه، يتضح أن المؤلف قد أخضعها لمقاييس اختيار تتوافق مع الفكرة المطروحة، وتخدم أهدافها. ومن ثم، يستشف البحث بعض المقاييس العامة التي اعتمدها في انتقائه لها، وتتصدرها غاية المؤلف وتوجهاته ومقاصد الأفكار المطروحة، كما أنه عوَّل على استشهاداته منها لكي يخفف عليه عبء التوضيح والتفسير، فقام بتوظيفها من أجل إثبات أفكاره وتقوية حجته في القضية المطروحة من ناحية، ومن ناحية أخرى، كان ينتقي من كتب التراث البلاغي ما يحوي بين دفتيه الاستشهادات المؤلفة من أهل العرب وكذلك المولدين، من أمثال ابن رشيق، وابن

جني، هذا فضلاً عن أنه قد اتضح من مجموع المصادر التي استقى منها مادته العلمية، أنه انتقى من بينها المصادر التي ترتبط فيما بينها بقواسم مشتركة في رؤيتها البلاغية.

٨ . تمثل الاستشهادات التي نقلها المؤلف من مصادره أهمية كبيرة من حيث أنها تبين خطه الفكري، وقد كان حريصًا على تأكيد رؤاه بالاستعانة بالاستشهادات من تلك المصادر.

٩. ظهر المؤلف في ترجمة تضميناته أو استشهاداته بصورة الباحث عن جوهر المعرفة البلاغية ونشرها بين الأتراك من مصادرها الأولى، وكأن جسر ترجمة الفكر البلاغي العربي، مازال قائمًا لم ينقطع بين يدي المؤلف، ونظرًا إلى أن قواعد البلاغة وأصولها لم تصدر عن عقلية تركية خالصة في خصائصها وأساليب استعمالها، فإن أكثر الشروط أهمية لديه يتمثل في الشواهد التي يستخرجها من التراث البلاغي،

ويمكن تقسيم مفاهيم المصطلحات وتضمين المؤلف من مصادره إلى ما يلي:

أ ـ مفهوم "مصطلح علم الأدب" واستشهادات المؤلف:

تناول المؤلف مفهوم مصطلح علم الأدب معتمدًا في ذلك على ما استقاه من استشهادات حول هذا الموضوع من التراث القديم، وقد اختلف المصطلح في مفهومه ودلالته من مصدر لآخر، حسب منهجه واتجاهات وكيفية التعامل معه. قدم المؤلف نصين من الاستشهادات حول (مفهوم الأدب)، وبدأ بترجمة ما اقتبسه من تعريف ابن خلدون لهذا المفهوم:

"ابن خلدون تاريخنك مقدمه سنده ديوركه : " علم ادبله اهل لسان عندنده قصد اولنان شي ثمره سيدر كه اوده اساليب ومناهج عرب اوزره نظم ونثر سويله مك صنعتلرنده حسن ملكه بيدا ايلمكدر." (٨٦)

أما النص الأصلي فهو: "المقصود منه (علم الأدب) عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم" (٨٧)

غير أنه عند القيام بالمقارنة بين ما ترجمه الكاتب التركي ونصه الأصلي، يتضح ما يلي: .

١. عند النظر إلى الاستشهاد من ناحية الترجمة، نجد لجوء المؤلف التركي إلى ترجمة كلمة " مناحي " الواردة في النص الأصلي، باستخدام الكلمة العربية " مناهج"، وهو بذلك أراد أن يبين للقارئ التركي المعنى المقصود منها، وهو " ما نحوا إليه العرب من طرق ومسالك".

٢ . أن ترجمة المؤلف التركي لبعض الكلمات الواردة في النص الأصلي، تنم أيضًا عن مفاهيم اقتبسها من التراث العربي القديم، فقد استوقف البحث لجوء المؤلف لترجمة كلمة " إجادة " إلى النص التركي، بكلمة عربية أيضًا، وهي " ملكه"، فقد ربط (حسن الملكة) بصفة النظم والنثر، فهي تعني الإجادة، وهذا مفهوم اقتبسه عن ابن خلدون الذي يقول في هذا الصدد: " اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها." إن الملكة عند ابن خلدون ترتبط بالملكة البلاغية واللغوية، والتي يتم تحصيلها بالطبع والسليقة، ويذكرها في كتابه (المقدمة) مجموعة من الملكات الرئيسية، مثل: ملكة الحفظ، وملكة الفهم، وملكة الذوق، وتصقل هذه الملكات باللغة والبيان والبلاغة والنحو وعلوم الآداب حفظًا وفهمًا."[٨٨]

٣ . أن المؤلف التركي لم يلتزم عند تعامله مع شواهده بعدم التوافق بين ما نقله وترجمه منها وبين النص الأصلي، حيث قام المؤلف التركي باقتباس ما أراده من مقولة ابن خلدون، فترك الجملة الأولى من بداية التعريف، ومفادها أن "هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وبدأ استشهاده مباشرةً بالجملة التالية: " المقصود منه عند أهل اللسان.."

٤ . لقد كان تصرف المؤلف التركي بحذفه للجملة المذكورة، أثره في تغيير المفهوم الحقيقي للأدب الذي أراده ابن خلدون في نصه الأصلي بأن ذلك الأدب لا يعدو كونه علم تابع أو علم مساعد، وأن له غاية واضحة تتمثل في " مؤازرة ودعم أسرار العربية لتفسير النص الديني وامتلاك معناه، من جهة المفردات والعبارات وشرح الغريب الوارد في كلام الرسول ﷺ، واعتبار أن الاستقصاء في كل أنواع العلوم المرتبطة باللغة والشواهد الشعرية أجل وأعظم المعارف الدنيوية..."[٨٩]

٥ . يوضح هذا المسلك الذي اتبعه المؤلف التركي حيال مصادره، أنه كان يقتبس منها ما يريد من فقرات الاستشهادات المطلوبة، ويقوم بتوظيفها بصورة تدعم غايته التي يريد طرحها، غير عابئ بالمقصود الحقيقي المراد به في النص الأصلي.

٦ . أورد المؤلف الفكرة مقتبسة من فم قائلها "ابن خلدون" دون تدخل منه في الشرح والبسط والتحليل، فلم يناقش تعريف " ابن خلدون"، كما أنه استشهد به بعد أن فرغ من الحديث عن أصول علم الأدب وفروعه، وما يؤخذ عليه أنه لم يمهد لاستشهاده بكلمة واحدة، بل وأعقبه باقتباس آخر حول الموضوع نفسه، استخرجه من مصدر آخر لجمال الدين أبو اسحق المعروف باسم " الوطواط، فهو لا يتردد في أن يمزج بين رؤى العلماء العرب أصحاب المذاهب والرؤى المختلفة حول قضية واحدة، ويوردها متتالية إثر بعضها بعضًا، فيترجمه قائلاً:

" ادب ايكي نوعدر: نفسي وكسبي. ادب نفسي نفاست طبعه دلالت ايدن محاسن افعالدر كه جناب منعم حقيقي بو عطيه ايديله ديكنه احسان ايدر. ادب كسبي كوش وهوشي مفتون ايدن احاسن اقوالدون مستفاد اولان ادبدر."(٩٠)

ونصه الأصلي هو: " الأدب نوعان: نفسي وكسبي، فالنفسي بتوفيق من الله يهبه الله لمن يريد، وهو ما كان من محاسن الأفعال الدالة على كرم الطباع، والكسبي ما استفادته الأنفس من أحاسن الأقوال الآخذة بأعِنّة القلوب والأسماع." (٩١)

ولئن كان المؤلف التركي قد وُفق في ترجمته، غير أنه ترك ترجمة كلمة الأنفس في الجملة الأخيرة، فلم يترجمها.

ومن الواضح أن المؤلف التركي، قد تعمد أن يختار طوائف متنوعة من الاستشهادات التي تأتي في سياق شرح مصطلحات علم البلاغة، والمستخرجة من كتابي " ابن خلدون " و"الوطواط"، فقد صرح بنفسه في اقتضاب في معرض كلامه عن أدوات البلاغة وآلاتها، بماهية غايته من وراء ذلك في تسليط الأضواء على كل جوانب المسألة المطروحة . والتي سبق ذكرها، فقدأراد أن يؤلف من محصول آراء هذين العالمين تركيبة متنوعة تعكس توجهاتهما حول

الموضوع المطروح، وفي الوقت نفسه تنصهر فيها مذاهبهما المتنوعة التي ينتميان إليها، لقد أراد أن يقدم رؤى مختلفة لمفهوم الأدب من زوايا وأبعاد متباينة، فرؤية ابن خلدون للأدب تختلف عن رؤية الوطواط في تقسيمه له، فقد قسم الأول لسان العرب إلى فنين: فن الشعر المنظوم، وفن النثر (الكلام غير الموزون)، وأن المقصود منهما بوصفه علمًا هو ثمرته، فهذه الكلمة لها دلالاتها التي يجب الوقوف عندها وتفسيرها من خلال كلام ابن خلدون نفسه، فهو يرى أن معرفة هذه العلوم الأدبية ضرورية على أهل الشريعة " إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة" [٩٢]، لقد تعامل ابن خلدون مع الأدب باعتباره علمًا تابعًا كما سبق الإشارة إلى ذلك الأمر، وهو مفهوم ساد لدى كثير من العلماء المشتغلين بعلوم الدين والشريعة الذين رأوا وجوب معرفة العلوم المتعلقة باللسان العربي لمن أراد علم الشريعة. وعلى هذا الأساس، فهم ابن خلدون الأدب، كما فهمه أهل زمانه، بهذا المعنى العام، فرأى ألا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، فهو " الإجادة في فنَّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم.» ، أما كتاب " غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة"، فلم يكن يختلف عن كتاب ابن خلدون في عدم تخصصه في الأدب، فضلاً عن اتفاقهما على أهمية ترابط العلوم وتداخلها، يعد كتاب الوطواط كتابًا ينتمي إلى ما يسمى بـ " الأدب العام "، فيشتمل على بدائع الحكم وروائع الأشعار ونفائس الأنثار ونوادر الأخبار في مدح الفضائل وذم الرذائل[٩٣]

وعلى الرغم من أنه يحسب للمؤلف التركي تعدد التوجهات البلاغية للاستشهادات المتنوعة التي استقى منها مادته البلاغية، إلا أنه قد نتج عن ذلك عدة أمور: يتصدرها تلك الفوضى التي أحدثتها تعدد التعريفات للمصطلح الواحد كما أوضح البحث، فضلاً عما نتج عن ذلك أيضًا جفاء المادة العلمية واقتصارها على ضبط الحدود والتعاريف، والاقتصار على كثرة الروافد المتنوعة من مصادر التراث البلاغي، كما يؤخذ عليه عدم التمهيد للفكرة التي يدور حولها الشاهد، ويبدو أن رغبته الشديدة في إثبات تفرده بكثرة روافده التي يستند عليها، قد جعلته يأتي بعد استشهاده بالواطواط ، بشاهد من حديث نبوي عن البيان، ويتمثل في قول

الرسول ﷺ:" إن من البيان لسحر" [٩٤]، لكي يلقي مزيدًا من الضوء على أهمية البيان والبلاغة ومدى ما تتركه من أثر يأخذ بالألباب مثل السحر .

ب ـ التعريف بفنون البلاغة واستشهادات المؤلف

لئن كان المؤلف قد استعان في تعريفه لمصطلح علم الأدب باستشهادات مستقاة من مصادر، وقام بتوظيفها لتكفيه عبء شرح التعريف والتوضيح، دون تعقيب منه أو تدخل، فقد أضاف لمهام استشهاداته وظيفة أخرى، هي التأكيد وزيادة الإيضاح، والملاحظ أنه أورد شواهده متتالية بعد جملة واحدة مهَّد فيها بشرح حول تسمية الفنون الثلاثة بـ " علم البلاغة"، وأن علماء البيان وأهله قد أطلقوا على علم البلاغة " علم البيان. ثم أورد بعد ذلك، فيما لا يتجاوز الصفحة الواحدة ثلاثة شواهد تدور حول طبيعة العلاقة المترادفة بين العلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، ليحتج بها على صحة ما ذكره بالشواهد التي استقاها من جلة العلماء وكبار أئمة العربية والبيان، وهم: جلال الدين القزويني، والتفتازاني وسرعان ما أضاف إليهما مصدر تركي يدعم فكرته.[٩٥]

لقد اعتمد المؤلف التركي على مصادر متنوعة حول هذه القضية، ودائمًا تبدو رغبته في طرح رؤية الفكرة في أبعادها المختلفة، وتتوالى شواهده كالعادة من كتابي القزويني والتفتازاني إثر بعضهما بعضًا دون تعقيب منه ولا تحليل، والملاحظ أنه كان يحرص دائمًا على أن يجمع بين شواهده قواسم مشتركة، وتتمثل في وحدة المنهج بين كاتبيها القزويني والتفتازاني بصفتهما أشهر من قاموا بتلخيص كتاب المفتاح وشرحه، فترجم ما ضمنه من القزويني حول معاني هذه العلوم الثلاثة قائلاً:

" معناي مقصودي تأديه ده خطادن احتراز ايتديرن شي علم معاني، تعقيد معنويدن احترازايتديرن شي علم بيان، وجوه تحسين كلامي بيلديرن شي علم بديع در/ بك جوق كيمسه لر بو اوجنك مجموعنى علم بيان تسميه ايتمش، بعضيلري دخي اولكنه علم معاني وديكر ايكيسنه كه بيانله بديعدر(علم بيان) واوجنه بردن (علم بديع) ديمشلردر."[٩٦]

ترجمة الشاهد: "علم المعاني هو الشيئ المحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المقصود، وعلم البيان هو الشيئ المحترز به عن التعقيد المعنوي، وعلم البديع هو الشيئ الذي يقوم بتعريف وجوه تحسين الكلام/ وكثير يسمي مجموع هذه العلوم الثلاثة (علم البيان)، وبعضهم يسمي الأول أيضًا (علم المعاني) ويسمي الأخيرين (علم البيان)، ويسمي ثلاثتهم (علم البديع)

أما النص الأصلي للشاهد: " ... وأن (علم المعاني) مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد والى تمييز الفصيح من غيره. والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو، أو يدرك بالحس . وهو ماعدا التعقيد المعنوي وما يحترز به عن الأول (علم المعاني)، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي (علم البيان). وما يعرف به وجوه التحسين: (علم البديع). وكثير يسمي الجميع علم البيان وبعضهم يسمي الأول علم المعاني. والأخيرين علم البيان. والثلاثة: علم البديع. "[٩٧]

والملاحظ أن المؤلف قد فعل مع القزويني مثلما فعل مع ابن خلدون من قبل، فقد تصرف في ترجمة النص الاستشهادي بالنقص، ولم يلتزم بترجمة الفقرة بأكملها، فأسقط من الترجمة بعض كلمات لم يشأ الوقوف عليها مع تعريف كل علم، ففي علم المعاني، لم يترجم جملة " وإلى تمييز الفصيح من غيره"، وفي تعريف علم البيان، لم يترجم منه سوى " ما يحترز به عن التعقيد المعنوي، لقد حذف ما يتعلق بالحديث عن الفصاحة وهي تعد مفتتح الكلام في النص الأصلي.

ومن الضروري الوقوف على أهداف المؤلف في لجوئه إلى هذا التصرف في ترجمته للنص الأصلي، وهو ما يتبين بوضوح من خلال استشهاده الثاني بالتفتازاني وهو شارح لمفتاح العلوم، فترجم له قائلاً:

"علم معاني ايله علم بيانك بلاغته مزيد اختصاصلري بولنديغي ايجون بو ايكي علمي علم بلاغت تسميه ايتمشلردر." [٩٨]

النص الأصلي:"وسموا هذين العلمين علم البلاغة لمكان مزيد اختصاص لهما بالبلاغة، وإن كان البلاغة تتوقف على غيرهما من العلوم."[٩٩]

تعكس طريقة تعامل المؤلف مع مصادره، التي اقتبس منها شواهده منهجه في التأليف البلاغي، وتبرز فكره ونظرته الكلية إلى مباحث البلاغة وغايتها، فالناظر في رؤية المؤلف من خلال ما قام به من تصرف في ترجمته للاستشهادين جملة وتفصيلاً، يستطيع أن يلمح أن المؤلف لم يرد فقط أن يضع القارئ في مقارنة بين كلام القزويني والتفتازاني في تعريفهما السابق ذكره، وإنما أراد التأكيد على توجهه ـ وكذلك التوجه العام لدى الأتراك ـ في رؤيته المتعلقة بهذه المسألة، بعدم وجود فروق بين مباحث العلوم الثلاثة، فهي عنده علم واحد، ومن ثم، جمع بينها وجعلها علمًا واحدًا، فقام بإطلاق علم البيان على العلوم الثلاثة، والشاهد على ذلك أنه أورد استشهاده الثالث الذي استقاه هذه المرة من كتاب تركي ، مشيرًا إليه فقط بذكر عنوانه " بلاغت عثمانيه"، ومؤلفه هو أحمد جودت باشا"[١٠٠] فقد نقل من هذا الكتاب جملة واحدة، وهي: يقول صاحب البلاغة العثمانية:" نحن أيضًا أطلقنا على الثلاثة (علوم) اسم: علم البلاغة، وجعلناها علمًا واحدًا ."[١٠١]

ومن ثم، لم يكن هدف المؤلف شرح الفنون الثلاثة وطبيعة العلاقة فيما بينهم بشكل مستفيض والكشف عن رؤى البلغاء العرب من خلال استشهاداته، والتي أوردها بصورة مبتورة من مواضعها الأصلية، لتؤدي دور القائم مقام المؤلف، فيضعها في صمت دون تحليل أو شرح"

ولا يلبث المؤلف أن يأتي بثلاثة شواهد متعاقبة إثر بعضها بعضًا، ولا تستغرق أكثر من صفحتين، عند تناوله موضوع علم البيان.

ج ـ علم البيان واستشهادات المؤلف

لم يكن وقوف المؤلف عند علم البيان اعتباطًا، ولكنه قصد ذلك لتميزه بالتنوع والتمايز، فمجاله أرحب في ذكر النصوص والاستشهادات، وتضم بين جنباته ما هو عربي وغير عربي، ومن ثم، يكثر المؤلف حول هذه القضية من تضميناته وشواهده من المصادر التي تؤيد هذا الاتجاه، فيأتي بأربعة منها ما يدلل به على فكرته، وصدَّرها بترجمة ما ذكره الحموي في كتابه " خزانة الأدب، فيقول:

" حموي (خزانة الادب) ده شويله يازار: " علوم ثلثهء اخيره ده (معاني، بيان، بديع علملرينده ديمكدر) كلام عرب ايله ده ما سواي عربك سوزيله ده استشهاد اولنور. زيرا بو علملر معاني وافكاره رجوع ايدر، عقله عائد بولنان احوالده ايسه امر استشهادجه عرب ايله ما سواي عرب آره سنده فرق يوقدر"[١٠٢]

النص الأصلي من كتاب خزانة الأدب للحموي:" يستشهد بكلام العرب، كما يستشهد بكلام غيرهم من المولدين في العلوم الثلاثة الأخيرة، لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل..."[١٠٣]

لم يكتف المؤلف في طرحه لهذا الموضوع بضمه شاهد من الحموي، بل أورد لغيره من البلغاء القدامى أمثال ابن رشيق الذي أثار الفكرة في كتابه العمدة، حيث يقول مترجمًا شاهده منه:

"ابن رشيق " عمده " نام اثرنده ديوركه: "ابو الفتح عثمان بن جني " الفاظده قدما ايله استشهاد اولديغى كبي معانيده مولدون ايله ده استشهاد اولنور" ديدي. ابو الفتحك سوزنده كي صحت آشكار در، زيرا ابناي آدمك روي زمينه يايلملري كبي قوم عرب ده اسلاميتدن صكره اقطار جهانه يايلملريله بدويت عالمندن عالم حضارت وتمدنه كجديلر وبو عالم جديدك بذل ايلديكي نعم ومفاخر ايله كامياب اوله رق نو زمين تشبيهاته وسائره يه متدائر عقللرينك ارشاد ايلديكي احوالي رأي العين كورديلر، بو جهتلر دائرهء معاني اتساع ايلدي."[١٠٤]

النص الأصلي من كتاب العمدة لابن رشيق : "قال أبو الفتح عثمان بن جنّي: المُولدون يُستشهد بهم في المعاني كما يُستشهد بالقدماء في الألفاظ، والذي ذكره أبو الفتح صحيحٌ بيّنٌ ؛ لأن المعاني إنما اتّسعت لاتساع الناس في الدنيا، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فمصَّرُ وا الأمصار، وحضَّرُ وا الحواضر، وتأنَّقوا في المطاعم والملابس، وعَرفوا بالعِيَان عاقبةَ ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره.." [١٠٥]

لقد أيَّدَ ابنُ رشيق القيروانيُّ ما ذهب إليه ابنُ جنّي، وعلّل صحة الاستشهاد بكلام المحدثين في البلاغة بأن علوم البلاغة تعتمد على المعاني، والمولدون قد حضروا الحواضر وتفننوا في المطاعم والمشارب، فاتسع الخيال وتولدت المعاني، ويعكس حرص الكاتب على ذكر مثل هذه

الاستشهادات، رؤيته في أن البيان العربي ما هو إلا خليط من ثقافات مختلفة، ورغبته في أن يثبت تأثير العناصر الأجنبية فيه، وقد يكون هذا الأمر كان المحرك والدافع وراء اختياره لمصادره، والشاهد على ذلك، كثرة شواهده في هذا الموضوع، التي تعكس للقارئ التركي دور العجم في علم المعاني.

النتائج

استنتج البحث بعد دراسته لمصادر المؤلف التركي (إسماعيل حقي) التي اعتمد عليها في مادته العلمية في كتابه (أسرار البلاغة/ المقدمة) ما يلي:.

- اختلفت مصادر المؤلف التي اعتمد عليها في مقدمته، وانقسمت فيما بينها إلى مصادر لم يصرح بها، ومصادر أخرى عول عليها وذكرها واستقى منها تضميناته أو استشهاداته.
- وفي كلا القسمين، شكلت مصادره اتجاهاته في درسه البلاغي، وغلبت عليه النزعة الكلامية مما كان له أثره الكبير في ظهور العديد من ملامح هذا الاتجاه في شرح مادته العلمية بصورة أوضحها البحث.
- ومن ناحية أخرى، اعتمد المؤلف على نوعية معينة من المصادر، مما يعني أن اختياره لها كان خاضعًا لمجموعة من المقاييس التي تتوافق مع الفكرة المطروحة، وتخدم أهدافها، وتتصدرها غاية المؤلف وتوجهاته ومقاصد الأفكار المطروحة.
- اتضح من مجموع المصادر التي استقى منها مادته العلمية، أنه كان ينتقى من بينها تلك التي ترتبط فيما بينها بقواسم مشتركة في رؤيتها البلاغية ومنهجها، وكذلك برز انتقاؤه من كتب التراث البلاغي ما يحوي بين دفتيه الاستشهادات المؤلفة من أهل العرب وغير العرب، أي المولدين، من أمثال ابن رشيق وابن حجة الحموي.
- لم يستطع أن ينجو من سيطرة النزعة العقلية والفلسفية ، فهو كثيرًا ما يفسح المجال لها، فقد تتبع المدرسة الكلامية المتمثلة في السكاكي ، وأراد أن يحتذي منهجه في الجمع بين المنطق والحجة العقلية خلال معالجته لقضايا المصطلح البلاغي وضبط أصول البلاغة وأركانها.

- ومن العوامل التي ساعدت المؤلف على هذا النهج، تأثره بكل من الجرجاني والسكاكي ومن التف حول نهجهما ممن قاموا بالشروح والتلخيصات، والذين مثلوا مصادر بلاغية للمؤلف، والتي عوَّل على استشهاداته منها لكي يخفف عليه مؤونة التوضيح والتفسير، فقام بتوظيفها من أجل أن تكون معبرًا لتوصيف رؤيته وأفكاره وتقوية حجته في القضية المطروحة.
- تمثل الاستشهادات التي نقلها المؤلف من مصادره أهمية كبيرة من حيث أنها تبين خطه الفكري، حيث يمكن من خلال دراسة مصادر المؤلف الكشف عن مفهوم البلاغة عنده، وجنوحه نحو الاهتمام بالأصول والقواعد وذكر المصطلحات البلاغية وتحديدها ، والتي أضفت نوعًا من اللبس لقارئ المقدمة، فلم يكن نهجه في درسه البلاغي نهجًا مألوفًا بين مؤلفات البلاغة التركية، فالمادة العلمية المقدمة موجزة، ينتقل فيها المؤلف من فكرة إلى أخرى ومن استشهاد إلى آخر دون تعقيب ولا تحليل يوضح نقوله لكي يكون القارئ على وعي بها وبمضمونها، ويترتب على هذا الأساس، عدم إمكانية فهمه لمغزى انتقائه نوعية معينة من مصادر التراث البلاغي وكيفية توظيفها. وهذا يتطلب نوعية معينة من القراء لديه خلفية بما شهده علم البلاغة من مراحل وما حدث له من تطور في كل مرحلة.
- استطاع أن يؤلف من محصول تضميناته التي اقتبسها من مصادر التراث البلاغي، تركيبة متنوعة المشارب والاتجاهات، وأراد من خلال وحدة الموضوع أو وحدة المنهج أن يجعلها متماسكة رغم تباين مذاهبها وتياراتها. ومن ناحية أخرى، تمكن من غربلة استشهاداته، وانتخاب ما ينسجم منها مع رؤاه وتصوراته المطلوبة.

الهوامش

1) Bak: Mehmet Gürbüz, Bereketzâde Ismail Hakki'nin Imlâ Konusundaki Görüşleri, Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic,Volume 3/6 Fall 2008,s.320.

ولمزيد من التفاصيل حول ما قام به الأتراك من ترجمة للعديد من مؤلفات التراث البلاغي، ، انظر الفصل الرابع من كتاب

Christopher Ferrard, Ottoman Contributions To Islamic Rhetoric, Doctor Of Philosophy, University Of Edinburgh, Faculty Of Arts, May 1979.

٢) ميخاليجي مصطفى ابن مصطفى: زبدة البيان، دار الشفقه، إستانبول، ١٢٩٧، الغلاف.

٣) عبد الرحمن ثريا: سفينهء بلاغت، برنجي طبعه، قسطنطينيه، ١٣٠٥هـ، الغلاف.

٤) على نظيما: مُخطوهء بلاغت، در سعادت، قصبار مطبعه سي، ١٣٠٨هـ، الغلاف.

٥) ابن الكامل مُحَمَّد عبد الرحمن: بلاغت عثمانيه، دار سعادت، ١٣٠٩هـ، الغلاف.

6) Bak: Mehmet Gürbüz, Bereketzâde Ismail Hakki'nin Imlâ Konusundaki Görüşleri, Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic,Volume 3/6 Fall 2008,s.320.

٧) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، برنجي طبعي، قسطنطينيه، مطبعهء ابو الضيا، ١٣١٧.

8) Elif Ateş: Bereketzâde İsmail Hakki'nin Esrâr-I Belâgat'i (Mukaddime Cildi), YüksekLisansTezi,Malatya-2017. s. 24-25.

9) Elif Ateş: a.g.e. s. 25.

١٠) النص التركي: "ابن حجة الحموي"خزانة الأدب " ده جاحظ " كتاب البيان والتبيين " ده، اديبهء معروفه " عائشهء باعونيه" " الفتح المبين" ده ، ودها نيجه نيجه افاضل بو منهاجده يازلمش اثرلرنده مستخرجات ادبيه وصناعات بديعيه بي،نصل ايجاد وتدوين اولندقلريني مطالعهء نفائس آثار ايله ادبانك نه قدر توسيع نطاق فصاحت وبلاغت ايلدكلريني ، تتبعات وانتقاداتله فنك وسعت وكمالنجه نيجه ثمرات اقتطاف اولنديغنى كوسترمشلردر." اسرار بلاغت، ص١٣-١٤

١١) علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون، حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص ١٧-١٨.

١٢) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان) ص ١٣-١٥

١٣) ينظر: فضل الله: اللغة والأدب عند ابن خلدون، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ص ١٣٠

١٤) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٩٧١ ص٣

١٥) الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي تح د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت(د ت)، ص ٢-٣

١٦) حيدر حسين: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني، دراسة مقارنة في كتابيهما الأسرار والتلخيص، دار الكتب العلمية،ط١، ٢٠١٢.

١٧) انظر ضياء الدين القالش: التفتازاني وآراؤه البلاغية، دار النوادر، ط١، ٢٠١٠م ص ٦١-٧٠

١٨) انظر خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠١٥، ص٦٧، ط١٥، مايو ٢٠٠٢م، ولمزيد من التفصيل عن ابن حجة وكتابه، انظر: يوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨م، ص١-٧٦، وكذلك مقدمة محقق كتاب خزانة الأدب: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١-٩.

١٩) انظر ترجمة المحققين لكتاب ابن الأثير وهما: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، المجلد الأول، ص ١٢. ٣٠.وكذلك ترجمة المحقق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد لكتاب ابن الأثير، الجزء الأول، مطبعة الباب الحلبي، ١٩٣٩م، من ص ح ـ يط.

٢٠) النص التركي: " اجلهء فصحا وبلغانك آثار نفيسه سني وتدبر ايله اوقومق غايتله فوائد آوردر: اولا انساني حسننه، تناسبنه، آهنكنه حيران ايده جك لفظلر، شيوه لر، تركيبلر، امثالسز اختراع اولنمش كوزل معنالر ادخار ايدلمش اولوركه لدى الحاجه او الفاظ ومعانيده آرزو اولنديغى وجه ايله تصرف ايديلور، ثانيًا نفائس ادبيه نك قرائتي اكثريا قواعدك تدرسندن دها صريح صورتله اساليب بلاغتي تبيين ايدر، ثالثًا فصاحت وبلاغتي ذهنه طبع ونقش ايدر ولسانك تجليء سر فيضه اكمل وسائل اولور. " إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، ص ١٨

٢١) النص التركي: " بن شيمدي بو علمك جلالت قدريني وعظم فائده سني كوسترر بعض نكته لر بيان ايده جكم. بو علمدن عاري بولنان اديب وكاتب مراتب تكملك ادناسنده دخي قاصردر. بونلر حسن بيانه موفق اولسه لرده مقابله دن عاجزدرلر. تقدير واستحسان ايلدكلري معنانك، حلاوت بولدقلري لفظك، كوزل عد ايلدكلري تركيبك علت وسببي صورلسه بر دليل كتوره مزلر." إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، ص٩٠

٢٢) النص التركي: آنلر اسلافمزك ملاحظاتندن بزي مستفيد قلمق اوزره صنعتي بزه تلخيص ايدرلر." اسرار بلاغت،ص ٦٨

٢٣) النص التركي:" دهاة بلغانك آثار نفيسه سنه مفتونيتمز"، إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، ص٢٣

٢٤) عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٤ .

٢٥) احمد مطلوب: "البلاغة عند السكاكي، منشورات مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤-١٩٦٤م، بغداد، ص .١٠١

٢٦) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص٥.

٢٧) النص التركي: " عالم، شاعر، فيلسوف، مؤرخ، خطيب، جمله سي اصول بلاغتدن كنديلرينه مخصوص احكامي استنباط ايده بيلورلر كه او احكامك تطبيق واستعماليله هربري مستفيد اوله بيلور." إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، ص١٣

٢٨) النص التركي: " شيخ عبد القاهر جرجاني، علامهء فاضل يوسف سكاكي كبي اعلام مؤلفين، عظماي ادب بو علمك قواعديني مبين تحرير آثار يولنده صرف نقدينهء حيات ايتمشلردر." ص ١٣

٢٩) أحمد مطلوب: مرجع سابق، ص١١٨

٣٠) التي بارماق: ترجمهء تلخيص المفتاح، سليمانيه كتبخانه سي، موقع توروز

٣١) عبد النافع: ترجمهء تلخيص ومطول، موقع توروز، طُبعت الترجمة في مجلدين في ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م و١٢٩٠هـ/١٨٧٣م.

32) Bak, Ekrem Bulut, Sırât-I Müstakîm Ve Sebilürreşad Dergilerinde Yayımlanan Makaleler Bağlamında Son Dönem Osmanlı Medreseleri Ve Islâh-I Medâris Hakkındaki Düşünceler Yüksek Lisans Tezi, Sakarya Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, , 2011.

٣٣) تحدث ميخاليجي مصطفى ابن مصطفى في كتابه عن علم البيان والمجاز والكناية والتشبيه والاستعارة والكناية ، انظر: زبدة البيان" (استانبول ١٢٩٧هـ).

٣٤) أحمد جودت: بلاغت عثمانيه، ص ٧

٣٥) أحمد مطلوب: المرجع السابق، ص٢٠٢

٣٦) النص التركي: " علم بلاغت ـ حسن بياني، يعني عقول وقلوب وإرادتي تسخير ايده جك صورتده ايراد كلامي تعليم ايدن علمدر." اسرار بلاغت، ص٣

٣٧) انظر شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص ٢١٠– ٣٠٢

٣٨) انظر أحمد مطلوب: مرجع سابق، ص .٩٩

٣٩) النص التركي: "بوراده تعريف اولنان علم بلاغت ايله معاني، بيان، بديع فنلرينه شامل معنى قصد ايدلمشدر، يعني فنون ثلثه نك اوجي برعلم اعتبار اولنه رق " علم بلاغت" تسميه اولنمشدر. علم بيان، اهل بيان، علماي بيان كبي استعمال اولنان تعبيراتده دخي بيانله فنون مزبوره نك اوجنه شامل معنى قصد ايدلمشدر". اسرار بلاغت، ص ٨–٩

٤٠) النص التركي: " اسم فن اولان بلاغت ايله اوصاف كلامدن بولنان بلاغت آره سنده فرق بولنديغي ايلروده مبحث بلاغتده آكلاشيله جقدر." اسرار بلاغت، ص٨

٤١) انظر: أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،١٩٧١، ص٤٥.

٤٢) النص التركي: " علم، حسب الاصول بربرينه مرتبط بولنان بر طاقم مسائل وقواعدك هيئت مجموعه سنه اطلاق اولنور." (أسرار بلاغت)، ص ٣

٤٣) انظر مسألة تصنيف المعرفة العلمية هنا في الشرقين الأدني والأوسط في القرون الوسطى، بقلم م.م. خير الله يف، ص: ١٩٣–٢٠٤. مجلة التراث العربي، العددان ٤، ٥، السنة الثانية، دمشق (عدد خاص عن ابن سينا، سنة ٢٠٠٦م ، ص٤٣).

٤٤) إحسان عباس، تصنيف العلوم عند العرب، عمان: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣، ص ٧١–٧٣.من محاضرة للدكتور إحسان عباس(عضو مؤازر في المجمع) بعنوان "تصنيف العلوم عند العرب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.)

٤٥) النص التركي: " معلوم اولديغى اوزره علوم بك جوقدر وكتدكجه عددي هر كون آرتيور. حالبوكه علومدن هر بري ادراك كلي اشيانك بر شعبه سي اولمقدن بشقه بر شي دكلدر. عقل بشر صنايعده اولديغي كبي علوم آره سنده دخي بر جهت وحدت آرار." أسرار بلاغت، ص٣

٤٦) النص التركي: "علوم تصنيف وترتيبي ايجون قدماي فلاسفه جيغير آجمشلر واعاظم فلاسفهء متأخرين دخي بو مسئلهء مشكله يه تقربله مساعدهء امكان درجه سنده آني حل ايتمك يولنى بولمشلردر. تحليلات واقعه حقيقتده اوج شيئه رجوع ايديور، زيرا هر علمده اوج شي تميز ايدر: برنجيسي علم ايله اتصاف ايدندر كه بوده هر علمده وهر زمان ومكانده عقل بشردر. ايكنجيسي موضوعدر كه علم كنديسنه تعلق ايدر وعلوم مختلفه يه كوره تبدل ايلر، اوجنجيسى نفس علمدركه عالم ايله علمك تعلق ايتديكي موضوع آره سنده بر نسبت ذهنيه در ديه تعريف اولنه بيلور." اسرار بلاغت، ص ٤–٥

٤٧) النص التركي: " علم بلاغت، علوم ادبيه تعبير ديكرله ادبيات اقسامندندر. ادبيات اون اوج قسمه تقسيم اولنوب بونك طقوزى اصول ودردي فروع اعتبار ايدلمشدر. اصول تسعه: لغت، صرف، اشتقاق، نحو، معاني، بيان، بديع، عروض، قافيه فنلريدر. فروع دخي انشا، قرض شعر، محاضرة فنلريله، خط يعني املا فني در. بعضيلري علم بديعي معاني وبيان علملرينه ذيل اتخاذ ايدرك اصول ادبياتي سكز اعتبار ايلمشدر."ص٧

٤٨) انظر موسى جلال الدين: تصنيف العلوم عند المسلمين، مقال علمي بمجلة المسلم المعاصر، عدد ٤١، جانفي، البنك الإسلامي للتنمية، مصر،١٩٨٣، ص٤٥.٣٣)

٤٩) فضل الله: المرجع السابق، ص٢٥

٥٠) النص التركي: " صنعت بلاغت كافهء علوم وفنونده شراره فشان اولور بر سيالهء نورانيه در. بو صنعتده تكمل حاصل ايتمك ايجون صنعتكارك معلوماتجه صاحب احاطه اولمسي لازمدر. فقط اركاني يعني باشليجه محتاج بولنديغي آلات وادوات درتدر: برنجيسي: قواي عقليه، ايكنجيسي : أصول وقواعد بلاغته وقوف، اوجنجيسى: بلغانك سوزلريني مطالعه، دردنجيسى: ادمان وممارسه" اسرار بلاغت، ص .٢٦

٥١) نظرية الفيض النوراني: ظهرت هذه النظرية في الفكر الإسلامي على يد المشائين المسلمين ، وعلى رأسهم الفارابي وابن سينا، وقد أورد الشريف الجرجاني في كتابه " التعريفات" تعريفين عن مادتي " الفيض الأقدس " و" الفيض المقدس" فقال عن أولهما: " هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة

العلمية ثم العينية، كما قال : "كنت كنزًا مخفيًا فاحببت أن أعرف الحديث، أما الفيض المقدس، فهو عبارة عن التجليات الاسمآئية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج، فالفيض المقدس مترتب على الفيض الأقدس فبالأول يحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني يحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوزمها وتوابعها." علي الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣ ص١٧٦-١٧٧

٥٢) النص التركي: " عقل، ديده دن نهان وآثاري خارجده عيان بر جوهر روحاني بر وجود نورانيدركه تعلق ايتديكي جسم وبدنك زمام تصرفي آنك رأي وتدبيرينه وابسته اوله رق هر كسك "بن" ديه ايلديكي نفس ناطقه دن عبارتدر" اسرار بلاغت، ص ٢٧

(٥٣) هو علي بن مُحَمَّد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمورلنك سنة ٧٨٩هـ، فر الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمورلنك، فأقام بها إلى أن توفي، له نحو خمسين مصنفًا ، منها التعريفات " و " شرح مواقف الإيجي" و" شرح كتاب الجغميني" و" مقاليد العلوم" و" الحواشي على المطول للتفتازاني" انظر " الزركلي : الأعلام، ص.٣٤٥

٥٤) علي الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣ ص١٥٧

٥٥) علي الشريف الجرجاني: المصدر السابق، ص١٥٧-.١٥٨

٥٦) النص التركي: " خيال بر قوتدركه محسوساتك غيبوبتلرندن صكره اتلرك صورتلريني نفسمزده نقش ايدر. " اسرار بلاغت، ص ٣١

٥٧) علي الشريف الجرجاني: مصدر سابق، ص١٠٧

٥٨) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص.١٨

٥٩) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول، مطبعة الباب الحلبي، ١٩٣٩م، ص.٣

٦٠) انظر: إسماعيل حقي، اسرار بلاغت، ص ٦٤-٦٧

٦١) ابن الأثير: المثل السائر، ص١٠، ص٣١

٦٢) ابن الأثير: المثل السائر، ص١٠، ص٢٩

٦٣) ابن الأثير: المثل السائر، ص٥ ، ٦

٦٤) النص التركي: " اصول وقوانين بلاغته وقوف لازمدر، زيرا آنلر بزه فحول مؤلفينك اجراآتني، التزام وترويج ايلدكلري مسلكلريني، باعث موفقيتلري بولنان اساليبي اوكره درلر. آنلر اسلافمزك ملاحظاتندن بزي مستفيد قلمق اوزره صنعتي بزه تلخيص ايدرلر.(أسرار بلاغت)، ص٦٨-.٦٩

٦٥) انظر أحمد جودت: بلاغت عثمانيه، ص.٧

٦٦) النص التركي: " بو فن جليلك قواعديني استخفاف ايله مك على الأكثر عقول سقيمه اربابنك كاريدر" (اسرار بلاغت) ص .١٣

٦٧) النص التركي: " والحاصل اصول وقوانين علم بيانده اوج فائده واردر.

١نجي – دهاتك هانكي وسائل ايله موفق اولدقلريني تعليم ايدرلر.

٢نجي – دهاتك دوشدكلري خطيئآته ارشاد ايدرلر.

٣نجي – نيجه اعصارك ثمرهء تجاربي بولندقلري جهتله بزه وقت قازانديريرلر." (اسرار بلاغت)، ص ٦٨–٦٩.

٦٨) شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٦م، ص١٠٩

٦٩) شهرزاد بلعربي: الاستدلال البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، مجلد ١٥، عدد٢٠١٨،٢٧، ص ١١٩

٧٠) النص التركي: " السنهء اقوام احاله ء نكاه دقت ايديلورسه لا محاله قرين اذعان اولور كه خاصهء بلاغت بر منبعدن فشقيروب آقيور. آنجق هر لسانك ديارينه واستعداد الفاظنه كوره بر اداي مخصوصله تلون ايديور. هر قومك بلاغتي ايجنده نما بولديغي اطوار مخصوصه دن وبناءً عليه بونك لوازم وضروریاتندن اوله رق بعض تعريفات وتقسيماتجه وسائر فروعاتجه بينلرنده بولنان تباين واختلافدن تجريد ايدلدكده ذوق بلاغتك جمله سنده ماهيةً متحد اولوب فقط هر لسانده بردرلو زيب وآرايشه اقتران ايله بالعرض يكديكريندن تميز ايلديكي وبعض لسانده بر لطف مستن\ثناي الهي اوله رق بو خصيصه دها جاذبه دار بر صورتده اظهار آثار جمال وكمال ايتمش اولديغي نمايان اولور ". (أسرار بلاغت)، ص ٢٤

٧١) النص التركي: "لسانمزده دخي بو فيض رباني طور خاصي ايله متجلي اولديغندن او دخي بو فيضده ديكر السنه ايله يكسان اولمغله برابر طور خاصنده شركت قبول ايتمز. شو حالده السنهء فاضله نك قواعد مدونهء بلاغتندن اذواق اساسيه ده لسانمز ايجون اقتباس قابل وبلكه لازم وضروري ايسه ده او قواعدي لسانمزده عينيله تطبيق، بر شخصك سيماسني ديكر افرادك سيمالرينه متعلق شمائل ايله تعريف قبيلندن اوله جغي جهتله عبثدر." (أسرار بلاغت)، ص٢٤

٧٢) النص التركي: " شوراسي ده بيلنملي در كه بر لسانده مدون قواعد بلاغتك بعض جهاتنجه نقصان ويا نقيصه بولنسه بيله بو نقصان ويا نقيصه نفس بلاغته راجع دكل، تصوير بلاغته عائددر، جونكه بلاغتي قواعد ايجاد ايتمش اولميوب بلكه قواعد دهاة بلغانك آثارندن استنباط ايدلمش اولديغندن نقصان ونقيصه استنباطده واقع اولمش اوليور. يوقسه لطف ماهيتي هر يرده سيان بولنان ذات بلاغتده دكلدر." (أسرار بلاغت)، ص٢٥

٧٣) النص التركي: " معاني كتابلرنده اكثريا كوريلوركه بر مستنبط كلوب عين محلده بر نكته بولورده او نكته انتقاد اولور وياخود بر ديكر مستنبط كلوب عين محلده آندن دها كوزل بر نكته كشف ايدر. دلربا بر منظرهء شاعرانه

يي بر رسام حسن تصوير ايده مسه وياخود مزاياسني تماميله كوستره مسه انتقاد مرسومه دكل، رسامه متوجهدر." (أسرار بلاغت)، ص٢٥

٧٤) النص التركي: " بزده آثار ادبا وخطبايي تتبع وتحري ايدرك اسم مخصوص ايله ياد اولنمغه شايسته بر ذوق جديد كشف ايتمك يولنده فيوضات بلاغتدن هنوز بر هنر ومزيت كوستريله مه مش اولديغي حالده لسانمزه دلالت وارشاديله طرح اصول بلاغت ايلديكمز بر ديكر لسانك قواعدينه بعضيلري طرفندن نالايق اوله رق توجيه ايديلن اعتراضات شو حقائقك وضع تماشاكاه ملاحظه ايدلمامسيله برابر طور بلاغته اطرافيله وقوف حاصل اولمامسندن نشأت ايديور. كوياكه قواعد تواليء أيام ايله شونك بونك طرفندن استخراج صورتيله حصوله كلمه مش واره لرنده دخي بيكلرجه ناقد ومنقودلر يوق ايمش ده او قواعد اصللري ايله برابر آن واحدده آسمان بيانده ظهور ايتمش!" (أسرار بلاغت)، ص ٢٥. ٢٦

٧٥) النص التركي: " ديديكمز كبي هر لسانده طور خاص بولنديغندن ارباب لساندن بولنميانلرك كندي ذوقلرينه تطبيق ايله بشقه لسانلرك ذوق خصوصيلريني انتقاده قالقشملري باعث خنده اولور." (أسرار بلاغت)، ص٢٦

٧٦) النص التركي: "هر علمك تدويني ايجون علت غائيه بولنديغى كبي علم بلاغتك تدويني دخي معاني يي، دقائق ولطائف بياني، اسرار فصاحتي، نكت بلاغتي احاطه ايلمك اشتياقندن انبعاث ايلمشدر. دهاة بلغانك آثار نفيسه سنه مفتونيتمز واو آثارك احتوا ايلديكي اسرار وخواصني احاطه يه ايسه تجارب واحتساساتمزك عجز وعدم كفايتي، آنلرك نه كبي اسبابه توسل ايله موفق اولدقلريني والهامكاه حسن طبيعت اولان بختياران ايجون فكرلريني تصوير وبياندە موفقيتك نه صورتله نقشبذير امكان اوله جغني تحري وتتبعه بزلري بالطبع سوق ايدر كه ايشته علم بلاغت بو تحري وتتبعك ثمره سيدر." (أسرار بلاغت)، ص ٢٣

٧٧) مريم مجرالي: مظاهر النزعة العقلية في مفتاح السكاكي، ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥.٢٠١٦، ص٥٠-٦٩.

٧٨) انظر: علي عبد الرازق: علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٧

٧٩) شوقي ضيف: مرجع السابق، ص٢٨٨.

٨٠) النص التركي: " وقتا كه شعشعهء آفتاب دين احمدي مبادئء خلافتده حدود هند وجينه وبر طرفدن تخوم اندلسه واصل اوله رق دائرهء اسلام اتساع ايلدي واتراك واعجام واروام فوج فوج بو دائرهء منجيه يه دخول ايدرك طائفه ء عرب اقوام مزبوره ايله اختلاط وائتلاف ايتدي." اسرار بلاغت، ص٢٣

٨١) مريم مجرالي: مرجع السابق، ص١٥٦

٨٢) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول أهمية الاستشهاد ومراحلها انظر: محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ١٩٩٨ م، ص٩٨-٨٦، وبريكان الشلوي: المعايير النقدية في رد شواهد النحو الشعرية: رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٣هـ،

ص١٣-١٠، ونجاح أحمد الظهار: الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٨-١٩٨٧م، ص٤١

٨٣) النص التركي:" بتون مصاقع خطبا وبلغا، بتون اعاظم فصحا اساتذه دن استفاضه، انوار شواهددن اقتباس كمالات ادبيه ايتمشلردر." اسرار بلاغت، ص١٣

٨٤) آنلرك يريني نه اعاظم شواهدي طوغريدن طوغري يه تتبع، نه تعميق فكر وملاحظه، نه ال صنعتلرنده اولديغى كبي صنايع ذهنيه نك كافه سنده دخي اسباب موفقيتك اك اعلاسي بولنان ادمان طوته بيلور. آنلر اسلافمزك ملاحظاتندن بزي مستفيد قلمق اوزره صنعتي بزه تلخيص ايدرلر." اسرار بلاغت، ص٦٨

٨٥) النص التركي:" بو صنعت ايسه اعاظم شواهدك دقتليجه مطالعه سندن متحصل هر نوع تأملي احتوا ايلديكندن عينيله ملكهء فكردر." اسرار بلاغت، ص ١٤

٨٦) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص٧

٨٧) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١، ص٥٥٣

٨٨) فضل الله: مرجع السابق ص ٦٧

٨٩) بلقاسم مالكية و فريد خلفاوي: صورة الأدب من زاوية اللغة عند ابن خلدون، جامعة حمة لخضر الوادي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، عدد ١٤، عام ٢٠١٨، ص٣٢٦

٩٠) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص ٨

٩١) أبي إسحاق جمال الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحى الكتبي المعروف بالوطواط : غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة (وهو كتاب شامل يحوي من فنون الأدب والحكمة ويهدف إلى تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، ضبطه وصححه وعلق حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩، ص١٨٦

٩٢) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٥

٩٣) جمال الدين الوطوط: غرر الخصائص، المقدمة ص.١٢

٩٤) النص التركي: شهنشاه كويندكان افندمز " ان من البيان لسحرا" بيورمشلردر... " اسرار بلاغت، ص٨

٩٥) انظر: إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص٩

٩٦) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص ٩

٩٧) القزويني: علم البديع . " ص٣٦-٣٧

٩٨) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص ٩

٩٩) التفتازاني: "وسموا هذين العلمين علم البلاغة لمكان مزيد اختصاص لهما بالبلاغة، وان كان البلاغة تتوقف على غيرهما من العلوم

١٠٠) أحمد جودت باشا : بلاغت عثمانيه، استانبول ١٨٨٢، ص ٨

١٠١) النص التركي: " بلاغت عثمانيه صاحبي دخي " بز اوجنى بر علم اعتبار ايدرك علم بلاغت تسميه ايتدك" ديور. إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص٩

١٠٢) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص١٥

١٠٣) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م، ص .١٨٧

١٠٤) إسماعيل حقي: اسرار بلاغت، ص١٥-١٦

١٠٥) ابن رشيق القيرواني: العمدة، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط٤، ١٩٧٢. باب المعاني المحدثة، ص١٤٩.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية.

١ . ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، المجلد الأول، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.

٢ . ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، مطبعة الباب الحلبي، ١٩٣٩م

٣. ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م،

٤. ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان)

٥. ابن رشيق القيرواني: العمدة، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط٤، ١٩٧٢

٦ . أبو إسحاق جمال الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحى الكتبي المعروف بالوطواط : غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة، ضبطه وصححه وعلق حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، .١٩٧١

٧. أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،١٩٧١.

٨. أحمد مصطفى المراغي: تاريخ علوم البلاغة، نشره مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ،ط١، ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٧ م:

٩ . احمد مطلوب: "البلاغة عند السكاكي، منشورات مكتبة النهضة بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٤–١٩٦٤م، بغداد.

١٠. حيدر حسين: المنهج البلاغي عند الجرجاني والقزويني، دراسة مقارنة في كتابيهما الأسرار والتلخيص، دار الكتب العلمية،ط١، .٢٠١٢

١١. الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي تح د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت(د ت).

١٢ . خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠١٥

١٣. شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٦م.

١٤. شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

١٥ . ضياء الدين القالش: التفتازاني وآراؤه البلاغية، دار النوادر، ط١، ٢٠١٠

١٦ عبد العزيز عتيق ، في تاريخ البلاغة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠ م.

١٧. علي الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣

١٨. علي عبد الرازق: علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م علي عبد الرازق: علم البيان وتاريخه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٩. علي عبد الواحد وافي: عبد الرحمن بن خلدون، حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م.

٢٠ . مُحَمَّد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ١٩٩٨ م

٢١. يوسف بن إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر ١٩٢٨م

ثانياً: المخطوطات التركية العثمانية

١ . التي بارماق: ترجمهء تلخيص المفتاح، سليمانيه كتبخانه سي، موقع توروز

٢. عبد النافع: ترجمهء تلخيص ومطول، موقع توروز، طُبعت الترجمة في مجلدين في ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م و١٢٩٠هـ/١٨٧٣م.

ثالثاً: المطبوعات التركية العثمانية

١ . ابن الكامل مُحَمَّد عبد الرحمن: بلاغت عثمانيه، دار سعادت، ١٣٠٩هـ

٢ . أحمد جودت باشا : بلاغت عثمانيه، استانبول .١٨٨٢

٣ . إسماعيل حقي: اسرار بلاغت/ مقدمه، برنجي طبعي، قسطنطينيه، مطبعهء ابو الضيا، ١٣١٧.

٤ . عبد الرحمن ثريا: سفينهء بلاغت، برنجي طبعه، قسطنطينيه، ١٣٠٥هـ

٥ . على نظيما: مُخطرهء بلاغت، در سعادت، قصبار مطبعه سي، ١٣٠٨هـ

٦. ميخاليجي مصطفى ابن مصطفى: زبدة البيان، دار الشفقه، إستانبول، ١٢٩٧

رابعاً: الأبحاث والرسائل العربية

١ . بريكان الشلوي: المعايير النقدية في رد شواهد النحو الشعرية: رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٣هـ.

٢ . شهرزاد بلعربي: الاستدلال البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، مجلد ١٥، عدد ٢٧،٢٠١٨

٣ . فضل الله: اللغة والأدب عند ابن خلدون، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ٢٠١٩

٤ م.م. خير الله يف : مسألة تصنيف المعرفة العلمية هنا في الشرقين الأدني والأوسط في القرون الوسطى، مجلة التراث العربي، العددان ٤، ٥، السنة الثانية، دمشق (عدد خاص عن ابن سينا).

٥ . مريم مجرالي: مظاهر النزعة العقلية في مفتاح السكاكي، ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥.٢٠١٦

٦. موسى جلال الدين: تصنيف العلوم عند المسلمين، مقال علمي بمجلة المسلم المعاصر، عدد ٤١، جانفي ١٩٨٣، البنك الإسلامي للتنمية، مصر.

٧. نجاح أحمد الظهار: الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية،١٩٨٨م.

٨ . هناء محمود شهاب، وآزاد حسان حيدر: البلاغة بوصفها ميدانًا معرفيًا، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٤، العدد ٣ ،جامعة الموصل ، ٢٠٠٧م.

خامساً: الأبحاث والرسائل التركية:

1. Ekrem Bulut, Sırât-I Müstakîm Ve Sebilürreşad Dergilerinde Yayımlanan Makaleler Bağlamında Son Dönem Osmanlı Medreseleri Ve Islâh-I Medâris Hakkındaki Düşünceler Yüksek Lisans Tezi, Sakarya Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, , 2011.
2. Elif Ateş: Bereketzâde İsmail Hakki'nin Esrâr-I Belâgat'i (Mukaddime Cildi)
3. Mehmet Gürbüz, Bereketzâde Ismail Hakki'nin Imlâ Konusundaki Görüşleri, Turkish Studies, International Periodical For the Languages, Literature and History of Turkish or Turkic,Volume 3/6 Fall 2008